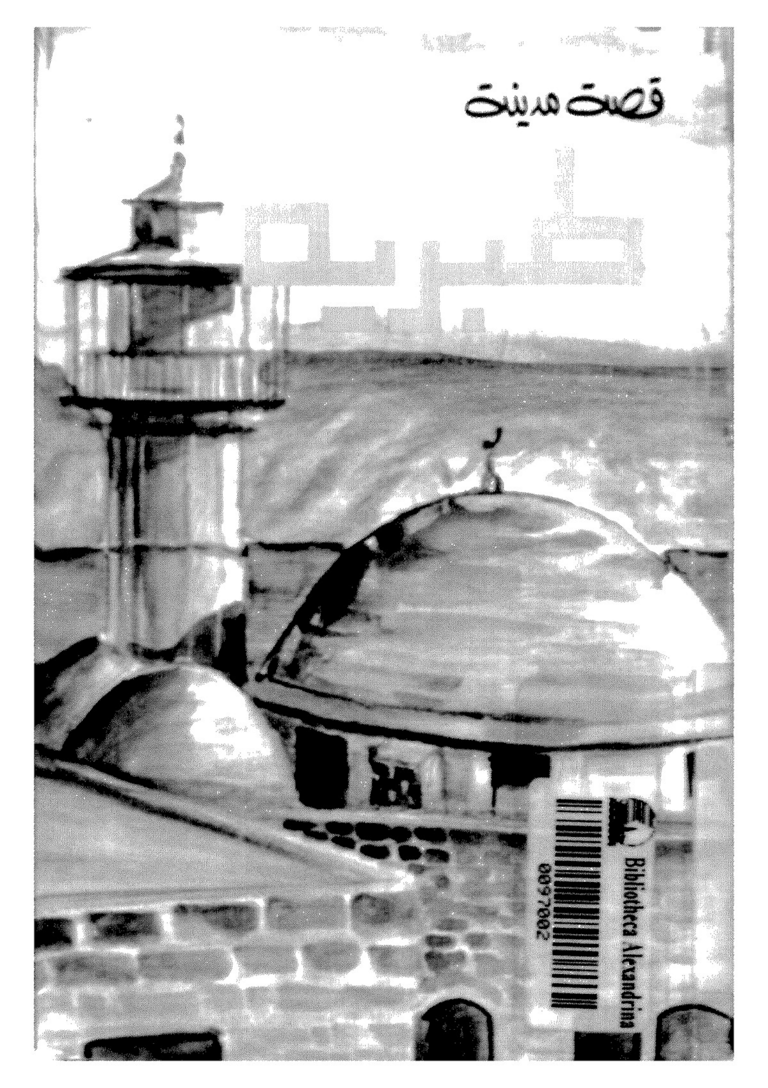
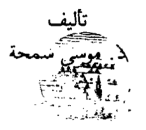

قصة مدينة
طبرية

قصة مدينة

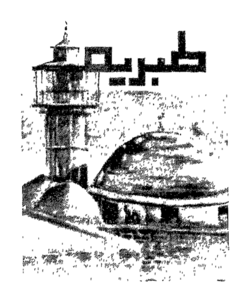


تأليف
د. موسى سمحة



سلسلة المدن الفلسطينية (٢٠)

تصدر عن: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية



مسجد طبريا

بريشة وليد علي

سكرتير التحرير ومنسق المشروع

حسين العودات

المحتوى

تصديـــر

اهتمت المؤتمرات الثقافية والندوات على مستوى الوزراء والمسؤولين والخبراء العرب، بالحفاظ على الثقافة العربية الفلسطينية والتراث الفلسطيني، وتجديدهما وتعريف الأجيال الناشئة بهما، وبمواجهة الغزو الثقافي الصهيوني، واعتمد المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومجلسها التنفيذي، مخططاً متعدد الجوانب، متنوع الأساليب، للوصول إلى هذا الهدف. وقد تمت تهيئة الشروط المناسبة، لتنفيذ هذا المخطط، الذي يشمل اصدار دراسات علمية في اطار مشروع (سلسلة المدن الفلسطينية)، بالتعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ودائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، بهدف اعطاء فكرة جامعة عن هذه المدن، تتضمن واقعها الجغرافي، وتطورها العمراني عبر العصور، وتاريخها، وأنشطتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ورصد التاريخ النضالي لسكانها، ليستفيد منها الطالب والعامل، والمثقف والمختص على حد سواء، ولتبقى وثيقة حية في ذاكرة الامة العربية.

وإن هذا المشروع، الذي يعتبر عملاً قومياً وثقافياً، يمثل جانباً من نشاط المنظمة في المجال الفلسطيني، ومساهمة في بناء الثقافة الفلسطينية، وتقوية عرى العلاقة بين الفلسطينيين ووطنهم. وإني أشيد هنا بالجهود الطيبة التي تبذلها دائرة الثقافة بمنظمة التحرير، وبالعمل العلمي المسؤول الذي تقوم عليه هيئة التحرير لإصدار كتب هذه السلسلة القومية.

ومن الله التوفيق

الدكتور محي الدين صابر

المدير العام

للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم



خارطة فلسطين

الفصل الأول

البيئة الجغرافية والتاريخية لمدينة طبرية

الموقع:

تقع مدينة طبرية في قسم الأردن الأوسط وهو أحد الأقسام الخمسة التي تشكل في مجموعها غور الأردن وهذه الأقسام هي الأردن العلوي (وادي الحولة) والأردن الأوسط (بحيرة طبريا والأودية المحيطة بها) والأردن السفلي، والبحر الميت ووادي عربة.

ويتسع جزء الأردن الأوسط في الجزء الشمالي منه ليصبح بعرض ١٦ كم ويضيق تدريجياً كلما اتجهنا نحو الجنوب حتى يصل الى عرض ٧ كم فقط.

وبذلك تكون طبريا المدينة والبحيرة واقعة ضمن غور الأردن وهو أحد امتدادات الجرف القاري الكبير الذي يمتد من شمال جبال الأمانوس التركية ويخترق الأراضي السورية واللبنانية ثم يشكل غور الأردن ويتابع امتداداته نحو الجنوب حيث يتوزع في نهاية البحر الأحمر إلى أخدود غربي تدخل قارة أفريقيا وإلى آخر يمتد شرقاً قاطعاً القسم الجنوبي من الجزيرة العربية.

وتبعاً لتقسيمات التضاريس، فإن منطقة طبريا تتبع الجليل الأسفل الذي يشكل مع الجليل الأعلى ومع إقليم الكرمل والأغوار الشمالي كامل منطقة الشمال الفلسطيني، الذي امتاز بعراقة تاريخية بارزة نظراً لكونه معبراً للحركة والانتقال من الشرق إلى الغرب وصولاً الى الساحل الفلسطيني. وكان لهذا الأمر أكبر الأثر في تكون معظم مدن شمال فلسطين ومنها طبريا، التي تكونت من مجموعة من المدن الصغيرة المحيطة ببحيرة طبريا في العهد الروماني/ البيزنطي.

ومن مدن الشمال التي نشأت واكتسبت أهمية فائقة نظراً لموقعها على خطوط الانتفاق، تبرز مدينة حازور (Hazor) الكنعانية، وكذلك المستعمرة المصرية في بيت شيعان (Bet She'an).

وطبرية اليوم قائمة على شاطيء بحيرة طبرية الغربي، وعند أقدام الجليل الشرقي، على بعد عشرين كيلومتراً إلى الجنوب من مصب نهر الأردن في بحيرة طبرية، وعلى بعد تسعة كيلومترات إلى الشمال من مخرج النهر في الزاوية الجنوبية الغربية من البحيرة.

تبعد مدينة طبرية مسافة ١٦٠ كم عن القدس، ١٤١ كم عن اللد، و٨٦ كم عن عكا و١٩٤ كم عن مجدل وعسقلان. وتبعد عن مدينتي القنيطرة ودمشق في سورية مسافة ٧١ و١٣٧ كم على التوالي. تربطها بحيفا طريق رئيسية تمر بالناصرة، كما ترتبط بكل من العفولة وجنين ونابلس والقدس. وهناك طريق رئيسية تصل طبرية بكل من سمخ وبيسان، وتتفرع منها طريق باتجاه العفولة. وتنطلق من طبرية طريق رئيسة تتجه شمالاً إلى المطلة، وتخرج منها طريق أخرى تتجه شمالاً بغرب نحو صفد وعكا. ويضاف إلى ذلك مجموعة من الطرق الثانوية تربط المدينة بما جاورها من قرى القضاء.

المظاهر الطبوغرافية:

تقوم المدينة على شاطيء بحيرة طبرية الغربي، وهذه البحيرة هي الجزء البحيري الشمالي المتبقي من بحيرة اللسان التي كانت جزءاً من وادي الأردن أثناء عصر البلايستوسين، وتشغل بحيرة طبرية منخفضاً بنائياً يمتد حتى شواطىء البحيرة الشمالية على شكل أودية تتجه شمالاً بغرب وشمالاً بشرق، أما في الجزء الجنوبي من ذلك المنخفض فإن المياه حجزت حافة المخروط الفيضي التي كونها نهر اليرموك عند التقائه بوادي الأردن. ويقع مستوى مياه البحيرة على انخفاض ٢١٢ م دون سطح البحر، أما المدينة فعلى انخفاض يتدرج بين ١٦٠ و٢٠٠م دون سطح البحر.

إن ضعف القشرة الارضية في هذه المنطقة، كما يشير إليه امتداد المسطحات البازلتية، ما زال قائماً ودليل ذلك تعرض المنطقة للهزات الأرضية، وظهور الينابيع

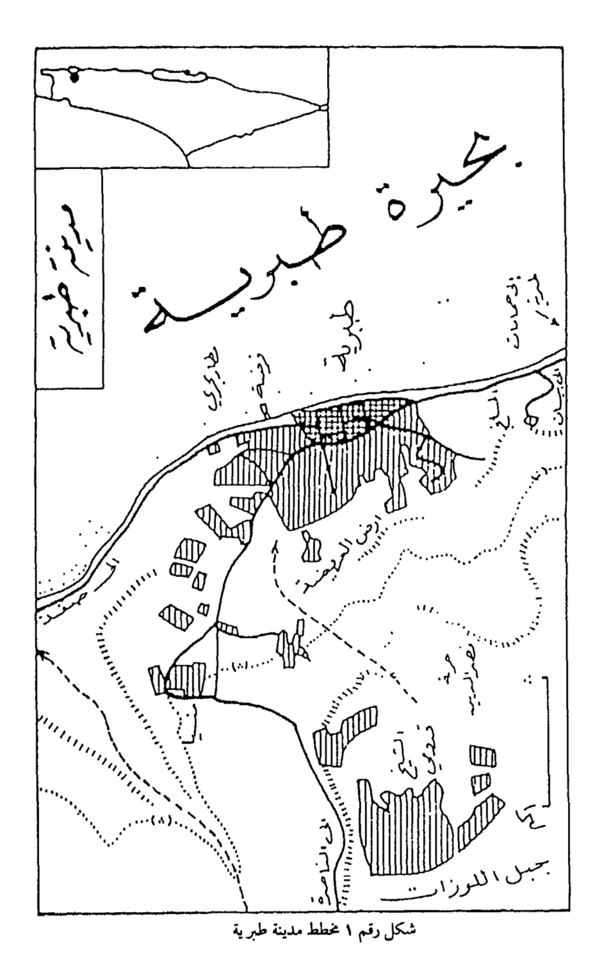
الحارة المعدنية حول البحيرة وأشهرها تلك التي تقع جنوب مدينة طبرية مباشرة. وقد سهل وجود المنخفض البنائي تدفق البازلت من مصدره الرئيس في حوران والجولان بالاتجاه الغربي للمنخفض.

وينصب في البحيرة عدد من الأودية، بالاضافة إلى نهر الأردن، وتسير تلك الأودية باتجاه الحافة الشمالية. وعليه فإن الترب الفيضية قد رسبتها تلك الأودية عند مخارجها كوادي العمود والحمام وغيرها.

تقع مدينة طبرية فوق سهل منبسط بمحاذاة الشاطىء الغربي للبحيرة، ويمتد إلى المرتفعات في الاتجاهين الشرقي والجنوبي. وإلى الجنوب من منطقة الغور تنحدر التلال باتجاه البحيرة، ويخترقها واد من ناحية الهضبة التي تعلو تلك التلال. وينفرج أمام التلال جنوب ذلك الوادي شريط من الشاطيء تخدده الأودية، ويمتد شريط منبسط من الأرض بين المدينة وسفوح التلال الغربية ويسمى هذه الشريط أرض العريضة وقد استنجد به السكان في الزراعة. وإلى الشمال من المدينة تقع أرض المقاطع ووادي العميس قرب نبع أبو عيشة. أما في جنوب المدينة فتجري الينابيع المعدنية. ويرتفع الى الغرب من طبرية جبل اللوزات الذي يمتد جنوباً ويتبدل اسمه الى جبل قعقيعة وجبل المنارة ثم تتفرع منه سلسلة جبال صغيرة كأنها سور طبيعي يحيط طبرية ونواصيها الجنوبية على طول البحيرة الجنوبي الغربي.

وقد انتشرت مباني المدينة على سفوح التلال الغربية من ساحل البحيرة حتى بداية الهضبة المطلة على المدينة والبحيرة. أما من ناحية الجنوب فقد امتدت المدينة حتى حمامات طبرية المعدنية، ومن الشمال تمتد المدينة فوق أرض منبسطة باتجاه بلدة المجدل.

وتنتشر الغابات إلى الشمال الغربي من مدينة طبرية، حيث أقيم متنزه طبيعي. كما تنتشر الغابات أيضاً على المنحدرات التي تقع إلى الغرب من المدينة مباشرة.



شكل رقم ١ مخطط مدينة طبرية

ومن ناحيـة جيـولـوجيـة تنتشـر التكوينات الطباشير ية شمال غرب وجنوبي المدينة، بينما تمتد الترسبات الفيضية إلى الشمال من المدينة، وتمتد طبقات البازلت إلى الغرب من المدينة مباشرة.

وتـرتفـع التـلال في غرب المـدينـة وشـمال غربها وجنوبها، وتنحدر منها أودية متقطعـة الجـريـان، تبـدأ بوادي الشهبا شمال المدينة، ثم وادي أبو الرمل، فوادي الـدلاف جنـوب المدينة. كذلك تكثر الينابيع المائية إلى الغرب من المدينة، وأهمها نبع التينة وعيون البيار وعين ست الكل، بالاضافة إلى عين أبو عيشة القريبة من السـاحـل شمال المدينة. والحافة الجبلية التي تنهض غرب المدينة هي منطقة تقسيم الميـاه التي تنحـدر باتجـاه الجنوب الغربي لتنتهي في وادي الأردن، بعد أن تنعطف إلى الشـرق من جهـة، والميـاه التي تنحدر باتجاه بحيرة طبر ية لتنتهي عند شاطئها الشمالي الغربي من جهة ثانية.

المناخ:

الأحوال المناخية لطبر ية هي انعكاس للأوضاع الطبوغرافية في هذه المنطقة التي تنخفض عن سطـح البحـر أكثر من مائتي متر. فحـرارة الصيف فيهـا أعلى بكثير مما هي عليه في السهل الساحلي وذلك بسبب المستوى التضاريسي المنخفض وإلى انعـدام تأثـير البحـر المتـوسـط. وعنـدما يصل نسيم البحر إلى المنطقة عند الظهيرة فإن الهواء يكون جافاً ويصبح ساخناً نتيجة للتمدد، وبدلا من أن يلطف درجـة الحـرارة يبقيهـا مرتفعـة حتى المسـاء. ويصل متوسط أعلى درجات الحرارة اليـوميـة الى ٣٨° وتستمـر عدة ساعـات. ومن جهـة أخـرى ينـدر أن تصل درجة الحرارة القصوى في فصل الشتاء إلى ١٨° وذلك بسبب تأثير حرارة البحيرة ذاتها. وفصـل الـربيـع في طبر يـة قصير، والانتقال من الشتاء إلى الصيف سريع بسبب الارتفـاع في درجـات الحـرارة (جدول رقم ١). ويزداد الارتفاع في درجات الحرارة مع هبـوب الـريـاح الشرقية (الخماسين). بل تتسبب تلك الرياح التي تهب ساخنة من مرتفعات الجولان في تكوين موجات حارة تصل إلى الشاطيء الغربي من البحيرة.

جدول رقم (١) معدلات الأمطار ودرجات الحرارة الشهرية في طبرية

الشهر	أمطار مم	حرارة مº	الشهر	أمطار مم	حرارة مº
كانون الثاني	١٢٠	١٤	تموز	-	٣٠
شباط	٨٤	١٥	آب	-	٣٢
آذار	٥٢	١٧	ايلول	-	٢٧
نيسان	٢٣	٢٠	تشرين الأول	١٩	٢٣
أيار	١٠	٢٣	تشرين الثاني	٥٣	١٩
حزيران	-	٢٨	كانون الأول	٧٢	١٧

أما الأمطار فإن الاختلاف بين الكميات الهاطلة على طبرية والكميات التي تسقط على الحافة الجبلية الغربية قليل لا يذكر، بسبب الاختلاف البسيط في الارتفاعات، وبالمقارنة مع معدلات الأمطار السنوية التي تبلغ ٥٠٠ مم فوق الجبل الأدنى. ويتلقى الجزء الجنوبي من طبرية ٣٧٥مم، في حين يتلقى الجزء الشمالي منها ٤٧٥ مم.

اذاً فالمنطقة تقع في إقليم يمكن قيام الزراعة غير المروية في أراضيه. ونظام الأمطار في هذه المنطقة عاصف رعدي على شكل زخات مفاجئة قصيرة الأمد، تحدث في نهاية موسم الشتاء، عندما تزداد حركة الهواء، يرافقها ارتفاع درجة حرارة المنخفض الغوري. وقد تسببت هذه الأمطار المفاجئة في فيضانات خطيرة وتدفقات مائية سريعة أدت إلى تدمير بعض المناطق المبنية في مدينة طبرية. ويبلغ معدل الأيام الماطرة في طبرية ٢٣ يوماً في السنة، وترتفع نسبة الرطوبة في المدينة إلى ٦٥٪.

نشأة المدينة وتطورها التاريخي:

يعود تاريخ طبرية إلى عام ٢٠م عندما بناها الحاكم الروماني هيرودوس أنتيباس الذي حكم مدة ٤٢ سنة (٣ ق.م - ٣٩م). وكان حكمه يشمل البلاد الواقعة بين نهر الليطاني وبحر الجليل وسهول عكا وصور، وقد بنى طبرية إكراماً للإمبراطور الروماني طيباريوس وذلك على موقع مدينة (رقه) الكنعانية وسمّاها باسم الإمبراطور، ونقل إليها مركز حكومته وزينها بالنباتات والأشجار وحصنها فجعلها أمنع مدينة في الجليل، وقد سكن طبرية بعد تأسيسها اليونانيون.

وفي أعقاب إحراق القدس وتدمير الهيكل عام ٧٠م على يد تيطس، استقر عدد من العلماء وأحبار الدين اليهودي في طبرية، وأصبحت مركزاً للتعليم الديني حيث جمع فيها «المشنة» وقسم كبير من «الجمارة»وهما القسمان اللذان يتألف منهما التلمود، وتضاعفت أهميتها في القرن الثاني الميلادي بوجود المجلس اليهودي الأعلى فيها وهذا ما يسمى عادة بـ(السانهيدرم) Sanhedrim.

ومما يذكر أن ازدهار مدينة طبرية بلغ أوجه في العصر الروماني، فقد استعملت أراضي طبرية والأراضي المحيطة بها أوسع استعمال في ذلك العهد، اذ كشفت بعض الدراسات عن وجود آثار لاثنتي عشرة مدينة على شواطيء بحيرة طبريا وعلى مسافات منها تقع أبعدها على بعد ٥ كم من البحيرة.

ويبدو أن من أسباب ازدهار المدينة هو اهتمام هيرودس بها، فقد وجد فيها الموقع الدفاعي الوحيد حول البحيرة، لأنها تطل على البحيرة مباشرة. وربما كانت أهمية الموقع العسكرية هي التي أملت على هيرودس بناء قلعة قرب شاطىء البحيرة، يضاف إلى ذلك قرب طبرية من الحمامات المعدنية التي كان للرومان اهتمام بالغ بها. ولذلك أسهم الموضع في إضفاء الأهمية على نشأة المدينة في تلك البقعة.

وفيما تلا من عهود زاد من أهمية مدينة طبرية وقوعها على طريق القوافل التجارية بين دمشق ومصر، فقد كانت تلك الطريق تبدأ من دمشق وتمر بالكسوة وفيق وطبرية واللجون وقلنسوة واللد وأسدود وغزة ورفح وسيناء فمصر.

في عام (١٣هـ: ٦٣٤م) سيطر العرب المسلمون على طبرية حيث استولى عليها شرحبيل بن حسنة وأصبحت عاصمة لـ(جند الأردن). وسكنها عدد من

القبائل العربية وخاصة قبيلة (الاشعريين) و(اللخميين). وكان لطبرية شأن كبير في التاريخ العربي نظراً لموقعها الهام على طريق القوافل، فقد كانت الدراهم الطبرانية العتيقة التي ضربت في المدينة هي العملة النقدية التي تعامل بها عرب الجاهلية في تجارتهم مع الرومان. أما بعد الفتح الإسلامي وفي السنة الخامسة عشرة للهجرة فقد قام خالد بن الوليد بصك الدراهم الإسلامية في طبرية حيث رسم على أحد وجهي العملة اسم خالد بالأحرف اليونانية. وفي عام ٣٠هـ قام الخليفة عثمان بن عفان بارسال مصحف منقول عن مصحف عثمان لكي يقرأ المسلمون فيه القرآن الكريم.

اتخذت طبرية إثر الفتح الإسلامي لبلاد الشام، عاصمة لجند الأردن، الذي كانت مدن قَدَسْ وصور وعكا واللجون وبيسان وقدينا ودرعا جزءاً منه.

وتؤكد الحقائق السابقة مدى أهمية طبرية موقعاً دفاعياً في الدرجة الأولى، ثم محطة على طريق القوافل بين دمشق ومصر، ونقطة عبور إلى المعمور الفلسطيني في الشمال، ومركزاً إدارياً هاماً بعد الفتح الإسلامي.

وأثناء الحملة الصليبية على فلسطين عهد «غودفري بوايون» إلى «تنكرد» بالاستيلاء على الجليل، فقام باحتلال طبرية بعد أن هرب سكانها المسلمون، وقام بتحصينها حتى تكون مركزاً لإمارته. وفي شهر تموز من عام (٥٨٣هـ: ١١٨٧م) نزل صلاح الدين على طبرية حيث يقول ابن الأثير في كتابه الكامل، إن صلاح الدين «سار حتى خلف طبرية وراء ظهره، وصور جبلها، وتقدم حتى قارب الفرنج، ولم ير منهم أحداً، ولا فارقوا خيامهم، فنزل وأمر العسكر بالنزول، فلما جن الليل جعل في مقابل الفرنج من يمنعهم من القتال، ونزل جُريدة إلى طبرية وقاتلها، ونقب بعض أبراجها وأخذ المدينة عنوة في ليلة، ولجأ من بها إلى القلعة التي لها، فامتنعوا بها وفيها صاحبتها ومعها أولادها». وبعد أن هزم صلاح الدين الصليبيين في حطين عين لولايتها «صارم الدين تايماز النجمي». وعندما قام الصليبيون بحملتهم الثالثة استولوا مرة أخرى على طبرية التي سلمها «الصالح اسماعيل» والي دمشق إلى الصليبيين في مقابل معونتهم له ضد (الصالح أيوب) في مصر و(الناصر داود) في الأردن في عام ١٢٤٠م.

وفي حزيران من عام ١٢٤٧ عادت وتمكنت جيوش العرب والمسلمين التي

أرسلها (الصالح أيوب) من مصر تحت قيادة الأمير فخر الدين بن الشيخ من استرداد طبرية وقلعتها. ولكن المدينة فقدت الكثير الكثير من عمرانها وأهميتها بفعل التدمير الهائل الذي لحق بها من جراء الغزوات الصليبية وبسبب هجمات التتار اللاحقة. وقد كادت المدينة تندثر، وحلت بيسان وحطين محلها في الأهمية على طريق القوافل.

استولى العثمانيون على طبرية في عام ١٥١٧م مع غيرها من بلاد الشام، وفي عام ١٥٦٢م سمح السلطان سليمان القانوني لليهود بالإقامة في طبرية، ودراسة تعاليمهم الدينية. وفي أوائل القرن الثامن عشر نزلتها قبيلة الزيادنة، واستثمر أفرادها جزءاً من أراضي المدينة في الزراعة. وفي عام ١٧٣٠م أصدر والي صيدا أمراً إلى ظاهر العمر بحكم طبرية وما جاورها من قرى واتخذ «العمر» طبرية مقراً له، وحصنها وزاد في عمرانها، وأقام فيها قلعته الشهيرة والجامع الكبير، لكنه عندما استولى على عكا نقل مقر حكمه من طبريا إليها. وقد كانت مدينة طبرية في العهد العثماني مركز قضاء طبرية، أحد الأقضية الأربعة التي كانت يتألف منها لواء عكا واستمر الحال كذلك أيام الانتداب البريطاني.

اندثرت أهمية طبرية مرة أخرى في القرن الثامن عشر، واستولى نابليون عليها عام ١٧٩٩م، وفي القرن التاسع عشر شكلت طبرية وناحيتها التي تضم ١٢ قرية جزءاً من ولاية عكا، وأصبحت في ذلك الوقت أحد مراكز الدفاع الرئيسية عن المناطق التابعة لولاية عكا.

ازدهرت المدينة أيام الحكم المصري لفلسطين، فتم إصلاح حماماتها، وبدأت المدينة تستقبل أفواجاً جديدة من الزائرين من خارج البلاد للاستشفاء بمياهها المعدنية. ولم يمض على فترة الازدهار تلك وقت طويل، حتى حلّ الدمار بالمدينة إثر الزلزال الذي أصاب فلسطين في مطلع عام ١٨٣٧، وبلغ عدد ضحاياه في طبرية وحدها أكثر من ٦٠٠ قتيل إلى جانب عدد كبير من الجرحى. والواقع أن طبرية تعرضت إلى عدد من حركات الزلازل الأرضية في الأعوام: ١٢٠٤، ١٢١٢، ١٣٣٩، ١٤٠٢، ١٥٤٦، ١٦٥٦، ١٦٦٦، ١٧٥٩د ١٨٣٧، ١٨٩٦. وكان من أشد تلك الزلازل واعتاها زلزال عام ١٨٣٧. ولم يقتصر الزلزال على مدينة طبرية وحدها فحسب، فقد ذكرت إحدى المصادر أن عدد القرى في

قضاء طبرية التي أصابها الخراب بسبب ذلك الزلزال بلغ أكثر من ١٧ قرية.

وفي بداية القرن العشرين ومع الاحتلال البريطاني لفلسطين، وجه الصهاينة أنظارهم صوب مدينة طبرية، وبدأت موجات متلاحقة من المهاجرين الصهيونيين تفد إلى المدينة للاستقرار فيها. وسنتحدث بالتفصيل عن بدايات هذه الموجات والأشكال التي اتخذتها في التواجد على الأرض الفلسطينية.

النمو العمراني للمدينة:

يقوم القسمان الأوسط والجنوبي من المدينة الحالية على أنقاض المدينة الرومانية القديمة التي شيدها هيرودتس، وبنى فيها هياكل وحمامات وميداناً يتوسطها ومبان كبيرة، وجلب إليها المياه بقناة طولها ١٥ كم. وتكثر في المدينة آثار كنائس لمختلف الطوائف المسيحية، وتقع جميعها على شاطىء البحيرة، وتعود إلى أيام تنصر قسطنطين الروماني، لكن الفرس أنزلوا بها الدمار عندما احتلوا فلسطين.

تشغل المدينة القديمة موضعاً قريباً جداً من موقع «الرقة» الكنعانية، التي تعني شريطاً أو شاطئاً. وذكر بعض الرحالة الفارسيين أن قسماً من مباني طبرية امتد فوق مياه البحيرة، وشيدت مناظر على رؤوس الأعمدة الرخامية التي وضعت أساساتها في الماء. أما المقدسي (القرن الرابع الهجري) فقد وصف طبرية فقال: «طبرية، بلد وادي كنعان.. ضيقة.. سوقها من الدرب إلى الدرب، والمقابر على الجبل، بها ثماني حمامات بلاوتيد، ومياص عدة حارة المياه، والجامع في السوق كبير حسن. قد فرش أرضه بالحصى على أساطين حجارة موصولة» وقال عنها أيضاً في مكان آخر: «لها سور حصين يبدأ من الشاطيء ويمتد حول المدينة. أما من جهة البحر فلا سور لها. ويتركز المسجد في وسط المدينة، كما يوجد في الجانب الغربي من المدينة مسجد اسمه مسجد الياسمين».

ويبدو أن قلعة طبرية التي رممها ظاهر العمر في عام ١٧٣٠م قد استخدمت مكاتب للدوائر الحكومية، فعرفت باسم السرايا القديمة. وأضاف ظاهر العمر أقساماً جديدة إلى سور طبرية في عام ١٧٤٩م وبنى في الحي الشمالي جامعاً كبيراً يعرف باسم الجامع الزيداني.

وكانت طبرية في الثلث الأول من القرن التاسع عشر محاطة بسور سميك متين البناء من جهة اليابسة، وكان طول ما بقي قائماً منه نحو ١٠٠م، وعرضه لا يتجاوز ٤٠م، وفيه ما يقرب من ٢٥ برجاً، وارتفاعه ستة أمتار، مع متراس وحاجز عال وفراغل لإطلاق نيران الاسلحة الصغيرة. ويحيط بذلك السور بالبلدة من ثلاثة جوانب، ويلامس طرفاه الماء. وقد انهار قسم كبير من السور إثر الزلزال الذي ضرب فلسطين سنة ١٨٣٧م. وكان البناء في ذلك التاريخ محصوراً داخل السور، وظل كذلك حتى عام ١٩٠٤م، حين سمح للسكان بالبناء خارجه، لكن ما بني لم يتجاوز خمسة عشر بيتاً.

ويظهر من المخطط الذي رسمه الرحالة بركهارت سنة ١٨١٢م أن لها بوابتين، الأولى كبيرة في الشمال، والثانية صغيرة في الجنوب، وتقع السرايا بالقرب من الأولى. وفي البلدة سوق حديثة البناء، ومسجدان أحدهما واسع، وثانيهما بناية جميلة ذات أقواس. وتتصل العقود القريبة من الشاطىء بعضها ببعض بأزقة ضيقة متقاطعة لها سقوف منخفضة جداً. وقد استخدمت مستودعات لاحتفاظها بالرطوبة أثناء فصل الصيف.

امتدت مدينة طبرية الحديثة شمال المدينة الرومانية القديمة التي كانت تقع بين المدينة الحالية والحمامات المعدنية. وقد حال دون امتداد المدينة العمراني جنوباً، قرب السلسلة الجبلية من شاطيء البحيرة، ووجود الحمامات. فظلت المدينة حبيسة السور الذي يحيط بها من جميع الجهات، باستثناء جهة البحيرة وقد تكونت نواة المدينة الحديثة على شاطىء البحيرة داخل السور القديم بين الساحل والطريق الرئيسي التي تخترق المدينة وتربطها بالناصرة وحيفا. لكن المدينة خرجت من تلك العزلة، وبدأت مبانيها تنتشر شمالاً بغرب. وامتد بعضها قليلاً إلى الغرب والجنوب.

بدأت مرحلة نمو جديدة في طبرية مع بداية عام ١٩٢٠ عندما أقام الصهيونيون مستعمرة «كريات شمونة» على ارتفاع ٨٠م فوق سطح البحر إلى الشمال الغربي من المدينة. وبعد الاحتلال الاسرائيلي في عام ١٩٤٨ أصبحت مدينة طبرية إحدى مدن التطور الرئيسة في فلسطين المحتلة.

منظر عام لمدينة طبريا على الشاطىء الغربي من بحيرتها

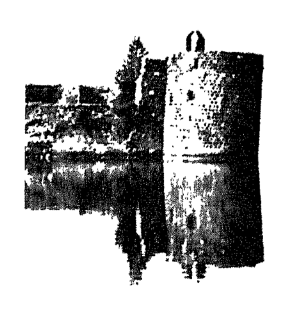
المعالم التاريخية الأثرية في طبرية:

تضم طبرية في جنباتها مجموعة واسعة من المعالم التاريخية التي تظهر عراقة المدينة، ففيها آثار دراسة لكنائس مسيحية ومعابد يهودية وجوامع إسلامية إضافة إلى القباب والسرايا والعيون وغير ذلك. وقد جاء في كتاب بدكر (Baedeker) الصادر عام ١٩١٢ عن طبرية قوله: «.. ولما تقدمنا نحو طبرية في طريقنا إليها من الناصرة كانت السرايا بقبابها العديدة على يسارنا، أما الجامع بمئذنته العالية فكان على يميننا، وتحت السرايا في باب المدينة الشمالي يوجد المستشفى الكبير الذي بنته إرسالية الكنيسة الاسكتلندية».

والجدير بالذكر أن شرحبيل بن حسنة قد فتح طبرية سنة ١٣هـ: ٦٣٤م. وقيل أنه صالح أهلها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم واستثنى لمسجد المسلمين موضعاً. وقد اكتشف علماء الآثار سنة ١٩٣٧ في خان المنية على بحيرة طبرية مسجداً من أقدم المساجد طوله ٢٠م وعرضه ١٣م، ويتصل بقصر للخليفة الوليد بن عبد الملك. وكان للمسجد باب شرقي يدخله المصلون من خارج القصر، وباب غربي يدخله الخليفة من قصره، وباب ثالث عمومي من ساحة القصر الداخلية. وكان في طبرية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي جامع كبير حسن مرفوع على أعمدة حجرية. وفي القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي كان مسجد الجمعة يقع في وسط المدينة، وعند بابه عين حارّة عند رأسها حمام ساخن. وفي الجانب الغربي من هذا المسجد يوجد مسجد يدعى مسجد الياسمين، وفي وسطه ساحة كبيرة ومحاريب حولها الياسمين. ومن أهم جوامع طبرية:

١ - الجامع الكبير: بناه الظاهر العمر الزيداني في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. ويعرف أيضاً بالجامع الزيداني، والجامع الفوقاني. وكان بناؤه سنة ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م. ويقع هذا الجامع في الحي الشمالي من طبرية. وما زال هذا الجامع قائماً حتى اليوم.

٢ ـ جامع الجسر: وهـو يقـع في الحـارة الجنـوبيـة، على ساحل البحيرة. وقد تم تجديـد بنـائه في سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م. وقد حوّل المحتلون الصهيونيون هذا الجامع إلى متحف محليّ.



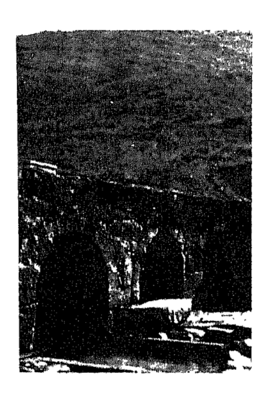
سور طبرية

ويبدو أن طبرية كانت تتميز حتى بداية الحرب العالمية الأولى ببيوتها، فقد كانت مبنيـة من أحجـار البـازلت السوداء التي كانت تستخرج من محاجر واكثر من نصفهـا طبقـة واحـدة، وهي متـلاصقة بعضها ببعض وجميعها تقريباً ذات أشكال منشـوريـة (مـربعـة أو مستطيلة أو متوازية المستطيلات. وجميع سطوحها مبنية من الكلس والتراب).

وتعدّ طبرية موقعاً أثرياً ضخماً يحتوي على أسوار المدينة القديمة وأثار بلدة رومـانيـة قديمة عبارة عن مساحة تحدها شرقاً البحيرة وجنوباً وادي القصب، وفي الجنوب الغربي خط مواز للشاطيء يمتد على بعد ٦٠٠ متر حتى يصل إلى نقطة في الغـرب عنـد قصـر بنت الملك، ومن هنـاك يمتـد شمالاً حتى محطـة الكهرباء، ويحـدهـا شمالاً خط يمتـد من محطة الكهرباء إلى البحيرة وشمل ذلك الخط بعض الأطلال ومدافن رومانية. ومن أهم المواقع الأثرية في طبرية:

- كفرا وهي إحدى ضواحي طبرية في العهد الروماني.
- قصر بنت الملك «قعقعيّة» وتبعد كيلومتر واحد جنوب المدينة بينها وبين الحمامات.
- تل معون (بيت معون) في ظاهر طبريا الغربي حيث كانت تقوم عليه قرية بيثاموس الرومانية.

وتشتهر طبرية بحماماتها الدافئة الجميلة التي كان يتردد عليها الناس من جميع أنحاء البلاد، وتقع على كيلومترين إلى الجنوب من مدينة طبرية، وقد استخدمت تلك الحمامات المعدنية وما زالت للاستشفاء وبصورة رئيسة من أمراض الروماتيزم والجلد، فهي غنية بالمعادن والمواد الكيميائية المختلفة مثل الصوديوم، والملح، واليود، والكبريت، والمنغنيز. وقد أنشأ الكنعانيون عندها مدينة «حمّات» ومعناها: الينابيع الحارة. وعرفت في العهد الروماني باسم «أماتوس». وتقوم الحمامات اليوم على أنقاض أبنية شيدها الرومان، ثم العرب. والبركة المعروفة باسم الحمام الكبير بنيت في عهد عبد الله الجزار والي عكا عام ١٨٣٠م. ترتفع درجة حرارة الحمامات إلى ٣٧,٨°م، وقد كان الناس يفدون على تلك الحمامات من جميع أنحاء سورية وفلسطين. وتربط الحمامات بطبرية طريق معبدة، تقع آثار

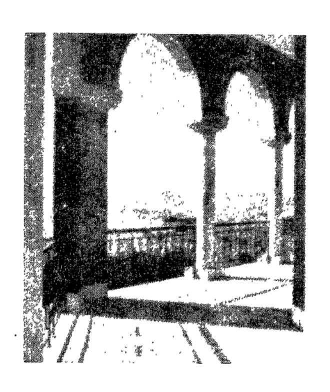


الحمامات المعدنية في طبرية

مدينة طبرية القديمة على جانبيها، وقد أعطي لبنانيان في عام ١٩١٠ امتياز تعمير هذه الحمامات واستثمارها لمدة ٣٥ عاماً، لكن الحكومة البريطانية أقامت العراقيل أمامهما، ولم تمكنهما من القيام بذلك، ثم أعطت الامتياز لشركة يهودية.

ويذكر لنا أحد أبناء المدينة أن الحمام العتيق كان فيه مغطس واحد، بينما الحمام الجديد كان فيه أكثر من مغطس، وكانت أجرة الحمام تتراوح بين ٥ ـ ١٠ قروش فلسطينية في ذلك الوقت حسب طلب الحمام، وأحياناً كان يصل إلى ٢٥ قرشاً للحمام المنفرد، وبالاضافة إلى الحمامات كان يوجد مسبح اسمه مسبح الليدو على شاطيء البحيرة. وأنه كان هناك مغطس واحد خاص للنساء في الحمام الجديد تشرف عليه إحدى السيدات.

وتعتبر طبرية واحدة من المدن الأثرية الهامة حيث تحتوي أيضاً على كفرا، وهي اسم لضاحية من ضواحي طبرية في العهد الروماني، قصر بنت الملك، وهو برج مهدم فيه آثار جدران وبقايا بركة وخزان، تل معون، وهو حصن من زمن الصليبيين، وفيها أيضاً مسجد الانبياء الذي يحتوي على قبر الأنبياء شعيب وسليمان ويهوذا وروبين.



منظر عام لمدينة طبرية من الجهة الجنوبية، ويظهر فيه قصر بنت الملك.

مخطط المدينة :

بلغت مساحة مدينة طبرية (١٣٠٥) دونمات في عام ١٩٤٥ ، منها (٤٣٢) دونماً للطرق والأودية . ويبلغ عرضها من ساحل البحيرة إلى أرض العريضة غربي المدينة مباشرة ٤٠٠م ، ويتراوح طولها من الشمال إلى الجنوب بين ٦٠٠ ـ ٧٠٠م . وامتدت المدينة فوق مصطبة من اللحقيات والانقاض والصخور البازلتية على بحيرة طبرية الغربي . وقد فرضت الطبيعة عليها اتجاهات النمو العمراني والشكل التنظيمي . فارتفاع التلال إلى الغرب والشمال الغربي والجنوب منها مباشرة ، أجبرها على الامتداد بشكل طولي بمحاذاة الساحل وباتجاه الشمال والشمال الغربي وتخترق المدينة من الغرب إلى الشرق عدة أودية .

كانت تخترق المدينة شوارع عريضة تمتد شرقاً بغرب ، في حين امتد شارع رئيس باتجاه شمالي جنوبي ، وأقيمت المحلات التجارية على جانبيه ، وشكل بذلك السوق الرئيسة للمدينة . وقامت على جوانب الشوارع العريضة الأخرى بعض الحوانيت . وفي المدينة جامعان رئيسان ، الأول جامع الجسر في الركن الجنوبي للمدينة ، والثاني جامع الزيداني الركن الشمالي . وقد أقيم مسلخ جنوب المدينة شرق طبرية ـ سمخ الرئيسة . وامتدت بعض الشوراع العرضية باتجاه الغرب ، لكن امتدادها كان قليلاً . وفي الوقت نفسه امتدت شوارع أخرى باتجاه الشمال بين الطريق الرئيسة التي تسير بمحاذاة الساحل متجهة إلى المطلة شمالاً ، والطريق الرئيسة التي تربط طبرية بالناصرة وحيفا . وتعامدت على هذه الطريق الرئيسة شوارع عرضية .

وأنشيء في الجزء الشمالي الحديث من المدينة المستشفى الرئيس ، إلى الشمال من مبنى الحكومة القديم في عهد الانتداب البريطاني .

وبشكل عام تقسم طبرية (قبل ١٩٤٨) إلى ثلاثة أقسام رئيسة من الشمال إلى الجنوب على النحو التالي :

١ ـ الشريط الساحلي : يضم الاجزاء الرئيسة ، كمحطة الزوارق في القسم الشمالي على ساحل البحيرة ، ويجاورها جامع الزيداني . ويقوم على هذا الشريط الحي السكني اليهودي والمسلخ . وفي الجزء الجنوبي من هذا الشريط تقع الحمامات المعدنية .

٢ ـ القسم الأوسط: يحاذي الشريط الساحلي، ويبدأ شمالاً بالمستشفى الرئيس وبعض مستشفيات الإرساليات الأجنبية، وكذلك مبنى الحكومة القديم، ثم تمتد السوق التجارية الرئيسة، وتتجمع حولها المنطقة السكنية الرئيسة التي كانت تشكل مع السوق، المدينة المسوّرة في الماضي، وإلى الجنوب من السوق التجارية والمنطقة السكنية، يقع جامع الجسر.

٣ ـ القسم الغربي: يضم معظمه أرض المقاطع التي استخدمت لقطع حجارة البازلت السوداء من أجل البناء، ويشمل أراض العريضة التي استغلت في الزراعة ويحتوي على مدافن المدينة.

ويذكر أن معالم المدينة تغيرت، ولا سيما المنطقة الشمالية منها بعد عام ١٩٤٨، فقد قامت سلطات الاحتلال الصهيوني بهدم الأحياء العربية، وطورت مستعمرة «كريات شمونة» التي أنشئت عام ١٩٢٠، وأقامت فيها الحدائق والمتنزهات العامة والفنادق السياحية والمباني الحديثة، وأنشأت حياً سكنياً جديداً على المرتفعات الغربية المطلة على حمامات طبرية المعدنية.

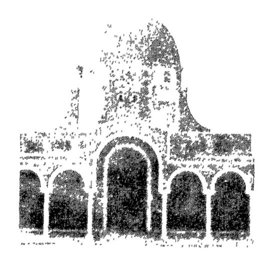
الخدمات والمرافق في طبرية:

كانت طبرية أيام العثمانيين مركزاً لمديرية طبرية التي أنشئت عام ١٩١١، وأقيمت فيها دار للحكومة وست مدارس وفندق ومستشفى ومعصرة زيتون. وفي أيام الحرب العالمية الأولى كان فيها مدرستان رسميتان، واحدة للذكور وأخرى للإناث، وست مدارس لليهود، وثلاث مدارس أخرى تابعة للإرساليات الأجنبية. ووجدت فيها ثلاث كنائس للمسيحيين وعشرة معابد لليهود، وجامعان كبيران للمسلمين.

اعتمد السكان على عين أبو عيشة للتزود بمياه الشرب، وقد جرت إليها بالأنابيب، في حين استخدموا مياه البحيرة العذبة لجميع الأغراض الأخرى.

شكلت طبرية مركزاً تجارياً رئيساً في الغور الشمالي، فالسكة الحديدية جنوبي البحيرة تربطها بالغور وبحيفا عن طريق سمخ، والطرق المعبدة تربطها بصفد وبالقدس.





كنيسة الفراسيسكان

وتضم الضاحية الحديثة في طبرية «شمال غرب البلدة القديمة» حدائق عامة وفنادق فخمة ومباني حديثة. وفيها متحف محلي أقامه الصهيونيون في مسجد الجسر قرب شاطيء في الجزء الجنوبي من المدينة ويوجد في طبرية ثلاثة مسابح كبيرة وعدد من الاستراحات السياحية. وفيها مستشفى للتوليد يخدم القضاء، وقد أشرفت عليه البعثة الارسالية الاسكتلندية أيام الانتداب البريطاني، وقد أنشأت فيها سلطات الاحتلال محطة لمراقبة الاشعاعات النووية، بعد عام ١٩٦٨.

وقد وجد الرحالة بيركهارت في طبرية أثناء رحلاته سوقاً تجارية تحتوي على ١٢ حانوتاً للبيع بالمفرق. وذكر أن الأهالي يتعاملون بصفة رئيسة مع بلاد الغور ومنطقة صفد، وفي كل يوم إثنين يذهب أصحاب الحوانيت إلى الخان الواقع عند سفح جبل طابور (سمّي خان التجار) حيث يعقد سوق يدعى سوق الخان، ونجري فيه مقايضة بضائع البلدة بالمواشي. ويعمل الجزء الأعظم من أهالي طبرية (عندما زارها بيركهارت) بزراعة السهل الساحلي الضيق الواقع غربي البلدة ومنحدر الجبل الغربي ويروى ذلك السهل بمياه الينابيع.

الفصل الثاني

سكان طبرية

١ ـ النمو السكاني :

يلاحظ المتتبع لتاريخ مدينة طبرية أنها ظلت فترة طويلة منذ نشأتها حامية للجند ومنتجعاً ترفيهياً وصحياً، ولما تم اختيارها بعد الفتح الاسلامي عاصمة لجند الأردن، غدت أيضاً مركزاً إدارياً. وقد ارتبط نمو عدد سكان طبرية إلى حد كبير لهذه الوظائف الثلاث التي جذبت إليها السكان من مناطق أخرى مجاورة. وتوضح بقايا المباني العامة التي وجدت في حفريات بعض المواقع حول المدينة أن السكان كانوا يعدون في الماضي (خاصة في العهد الإسلامي) أكثر بكثير من سكان طبرية في الوقت الحاضر. وربما بلغ عدد السكان في تلك الفترة ٣٥,٠٠٠ نسمة، وقد يعزى ذلك إلى :

أ ـ العوامل الطبيعية : وتتمثل في المناخ الدافىء الملائم لزراعة بعض المحاصيل ووجود الينابيع الحارة بجوار المدينة مباشرة، إذ كانت تلك الينابيع سبباً في جذب الراغبين في الاستشفاء من فلسطين وبلاد الشام الأخرى. ويضاف إلى ذلك توافر الأسماك بكثرة في بحيرة طبرية، وتوافر الأراضي الخصبة ذات التربة البركانية الصالحة للزراعة.

ب ـ العوامل البشرية : ضمت القلعة التي بناها الرومان عدداً كبيراً من الجند وأسرهم، وعمل جزء من السكان في خدمة زائري الحمامات المعدنية. وعزز مكانة المدينة أيام الفتح الإسلامي

أنها اختيرت عاصمة لجند الأردن فأصبحت أكثر مراكزه النشطة تجارياً وإدارياً .

وكانت العوامل الطبيعية مع العوامل البشرية سبباً في استقرار السكان في هذه المنطقة، حيث تطورت صناعة حفظ الأسماك للتسويق والتصدير، ونشطت الحركة التجارية، وازدهرت أيام الرومان صناعة الخمور، وتعد أراضي الحطام البركاني الواقعة غرب المدينة من أفضل الترب لزراعة أشجار العنب. وقد استخدمت الصخور البازلتية المنتشرة حول المدينة في البناء. وتوجد شمال غرب المدينة منطقة تسمى المقاطع، كانت تصدر منها حجارة البناء إلى منطقة السهل الساحلي الفلسطيني.

ولا تتوافر معلومات دقيقة عن عدد سكان المدينة في العصور الماضية. وقد نزل اليهود طبرية عام ١٥٦٠م بعد أن سمح لهم بذلك السلطان سليمان القانوني عاشر السلاطين العثمانيين، وكانت علاقتهم بأهلها الأصليين حسنة في بادىء الأمر، لكنها أخذت تسوء في العهد البريطاني، عندما نمت فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

وقد أعطى كثير من المؤرخين والرحالة الذين زاروا المدينة تقديرات مختلفة لعدد سكان المدينة، ففي عام ١٧٨٥م قدر فولني الذي زار المنطقة أن في طبرية ما يقرب من (١٠٠) أسرة، وذكر الرحالة بيركهارت الذي زار المدينة عام ١٨١٢ أن عدد سكانها يبلغ نحو (٤٠٠٠) نسمة ربعهم من اليهود. وأورد كارمون تقديراً لعدد السكان في طبرية عام ١٨٧٥ بـ(٣٠٠٠) نسمة نصفهم من اليهود ونصفهم من العرب. أما بوست فقد قدر عدد سكان طبرية بـ(٣٠٠٠ - ٤٠٠٠) نسمة نصفهم تقريباً من اليهود في عام ١٩٠١ (جدول رقم ٢).

ورغم عدم وجود بيانات أساسية عن السكان، من حيث الزيادة الطبيعية والهجرة، فإن استخدام معدل الزيادة السنوية للسكان، يعد الوسيلة الوحيدة التي تمكن من التعرف على مدى التغير الذي طرأ على نمو سكان المدينة منذ مطلع هذا القرن. وقد بلغ معدل الزيادة السنوية لسكان طبرية بين ١٩٠٨ و١٩٢٢ نحو ١٨ بالألف.

جدول رقم (٢) تطور نمو سكان طبرية)١٧٨٥ ـ ١٩٦٥)

عدد السكان (نسمة)	السنة	المصدر
٨,٠٠٠	١٧٨٥	فولني (تقدير)
٤,٠٠٠	١٨١٢	بيركهارت (تقدير)
٣,٠٠٠ ـ ٤,٠٠٠	١٩٠١	بوست (تقدير)
٥,٣٤٩	١٩٠٨	الكتاب السنوي لولاية بيروت
٦,٩٥٠	١٩٢٢	تعداد فلسطين الرسمي الأول
٨,٦٠١	١٩٣١	تعداد فلسطين الرسمي الثاني
١١,٣١٠	١٩٤٤	الدباغ وغيره (تقدير)
٥,٥٦٦	١٩٤٨	الدباغ (تقدير)
٢٣,٠٠٠	١٩٦٥	التعداد الاسرائيلي

وارتفع هذا المعدل إلى ٢٤ بالألف للفترة الواقعة بين التعدادين الرسميين ١٩٢٢ و١٩٣١، وتوالى الارتفاع حتى وصل إلى ٣٢ بالألف بين ١٩٣١ و١٩٤٥، ويعزى ذلك الارتفاع إلى الزيادة الطبيعية وإلى الهجرة. ومن المعلومات التي أوردها المؤرخون والباحثون حول سكان طبرية يتضح أن الزيادة الطبيعية في المدينة كانت مرتفعة، خاصة إذا علمنا أن معظم سكانها من المسلمين واليهود (قبل عام ١٩٤٨) ومعروف عن هاتين الفئتين معدلات الإنجاب المرتفعة. وذكر أحد المؤلفين أن سن الزواج مبكر جداً مما يؤدي إلى زيادة في المواليد. هذا إلا أن تقدم الخدمات الصحية بسبب وجود الإرساليات الأجنبية التي كانت تقدم الخدمات الصحية، وكذلك انتشار التعليم العام والخاص حيث وجدت إلى جانب المدارس الحكومية مدارس خاصة لليهود والمسيحيين؛ أدى إلى تخفيض في معدل الوفيات المرتفع بسبب الأوبئة، ولا سيما في الثلاثينات من هذا القرن، اذ انخفض معدل وفيات الأطفال الرضع من ١٢٥ بالألف إلى ٧٥ بالألف للفترة من ١٩٣١ - ١٩٤١.

أما الهجرة فقد أدت دوراً هاماً سلبياً وإيجابياً في نمو سكان طبرية، سواء أكانت هجرة اليهود إليها، أو تهجير سكانها العرب القسري. فمنذ أن سمح السلطان سليمان القانوني لليهود بالاستيطان في طبرية في منتصف القرن السادس عشر الميلادي، بدأت أعدادهم تتزايد، لكن لا توجد بيانات موثوقة عن عددهم حتى القرن التاسع عشر، باستثناء ما ذكر في بعض المصادر من أن عددهم في عام ١٨٣٩ قد بلغ ٦٠٠ نسمة، وفي القرن التاسع عشر وردت تقديرات مختلفة حول عدد اليهود في المدينة، ومنها أن بيركهارت سنة ١٨١٢م جعلهم ربع سكان المدينة، أي ألف يهودي حسب تقديره.

وفي تعداد ١٩٢٢ بلغت نسبة اليهود ٦٤٪، لكن نسبة السكان اليهود في تعداد ١٩٣١ انخفضت إلى ٤٧٪ من مجموع سكان المدينة، تبعاً لتقديرات نوتشتين وجوركات، اللذان أوضحا أن هناك أخطاء في تسجيل السكان العرب في تعداد ١٩٢٢، وأوضح المؤلفان أن معدل الهجرة الصافية إلى طبرية كان ٦٪ من حجم السكان الاصليين بين عامي ١٩٢٢ و١٩٣١، ومن جهة ثانية كان نصف سكان طبرية عام ١٩٤٧ من العرب.

وطبرية من مدن فلسطين الأولى التي استقبلت المهاجرين بسبب وجود مركز ديني يهودي فيها. وتدل الأرقام السابقة على أن هجرة اليهود اليها ظلت مستمرة. لكن ذلك لم يقلل من حجم السكان العرب في المدينة، فقد قدر عدد سكانها في عام ١٩٤٥ بنحو ١١,٣١٠ نسمات من العرب واليهود، في حين قدر عدد سكانها عام ١٩٤٨، اثر النكبة وإجبار السكان العرب على مغادرة المدينة بنحو٥,٥٦٦، كلهم من اليهود (أي نصف السكان تقريباً في ذلك العام). وتشير الأرقام إلى أن المدن الفلسطينية التي أجلي عنها سكانها العرب في عام ١٩٤٨ أعيد حشدها بالمهاجرين الصهيونيين، وكانت طبريا أولى تلك المدن، إذ ألف المهاجرون الصهيونيون الجدد ٤٦٪ من سكانها اليهود قبل حرب ١٩٦٧. وبلغ عدد سكانها (٢٣٠٠٠) نسمة في عام ١٩٧١.

٢ ـ تركيب السكان النوعي والتعليمي والمهني :

يتبين من بيانات ١٩٣١ الخاصة بالتركيب النوعي لسكان طبرية، أن نسبة

الذكور إلى الإناث في المدينة بلغت ٩٤ من الذكور لكل ١٠٠ أنثى . وكانت تلك النسبة ٩٧ عند السكان العرب و٩٢ عند السكان اليهود .

أما المستوى التعليمي في المدينة فكان مرتفعاً بدليل انخفاض نسبة الأمية إلى ٥٢٪ لمن هم فوق سنة الرابعة عشر حسب تعداد ١٩٣١ ، ويظهر ذلك في كثرة المدارس الخاصة في المدينة . ومن جهة أخرى بلغت نسبة المتعلمين ٤٩٧ بالألف منسكان المدينة (٧ سنوات فما فوق) في عام ١٩٤٣ . وكانت نسبة الذكور ٦٤٥ بالألف والإناث ٣٦٤ بالألف . وفي العام نفسه بلغت نسبة الذكور الملتحقين بالتعليم بين ٥ و١٥ عاماً (٦٥٪) . في حين بلغت نسبة الإناث في فئة العمر نفسها ٥٥٪ . وتمتع سكان طبرية بمستوى تعليمي جيد ، وذلك لتوفر الخدمات التعليمية التي قدمتها المدينة لساكنيها . ويتضح ذلك من الجدول رقم (٣) . وقد ارتفع عدد الطلبة العرب الملتحقين بالتعليم الابتدائي في طبرية إلى ١٠٣٠ في العام الدراسي ١٩٤٧ / ١٩٤٨ . وكان لليهود في طبرية عام ٤٢ / ١٩٤٣ ، ست مدارس التحق بها في العام نفسه ٨٥١ طالباً وطالبةً .

جدول رقم (٣) الطلبة العرب الملتحقون بالتعليم في مدارس طبرية الابتدائية في العامين ٣٧/ ١٩٣٨ و٤٢/١٩٤٣ ، ونسبتهم الى السكان العرب في سن التعليم ٥ ـ ١٥ عاماً .

السنوات	المدارس الحكومية الابتدائية		المدارس غير الحكومية		المجموع ٥ـ١٥ عاماً	٪ من عدد السكان
	بنين	بنات	بنين	بنات		
١٩٣٨/٣٧	٢٨٣	٢٤١	٨	٩٦	٦٢٨	٥٧٪
١٩٤٣/٤٢	٣٦٨	٢١٨	٣١	٨١	٦٩٨	٧٠٪

ويلاحظ في تركيب السكان المهني أن سكان طبرية اعتمدوا في معيشتهم على الزراعة والصيد. وامتلك بعضهم الزوارق لصيد الأسماك من البحيرة، وعمل بعضهم في الأعمال الزراعية. وكان نحو ربع السكان العاملين يعملون في الوظائف الإدارية والتعليمية والصحية في المدينة، إلى جانب اعتماد جزء من السكان في معيشتهم على الخدمات السياحية والترفيهية. واعتمد جزء ضئيل من السكان اليهود على التجارة، في حين اعتمد كثيرون منهم على المعونات التي كانت تأتيهم من الصندوق القومي اليهودي في أوروبا. وقد تبدل هذا التركيب المهني بعد احتلال الصهيونيين لفلسطين علام ١٩٤٨ فأصبحت السياحة هي الوظيفة الرئيسية في المدينة.

٣ ـ أعلام طبرية:

من الأعلام المشهورين الذين ينسبون إلى مدينة طبرية معاوية بن عبد الله بن يسار الأشعري (٧١٨ ـ ٧٨٦م). وقد كان كاتباً ووزيراً للخليفة المهدي والد الخليفة هارون الرشيد. ومنهم كذلك زرعة بن موسى أبو العلاء الطبراني، برز في القرن السادس الهجري، كشاعر وكاتب وقد عمل عند أمراء بني منقذ قرب المعرة في شمالي سورية وقام بتخطيط الشام. ومن علماء طبرية الذين حملوا مشاعل العلم ودرسوا وأفتوا وانتفع الناس بعلمهم وفضلهم في القرن الثالث عشر الشيخ محمد الطبري مفتي طبرية. أما في القرن الرابع عشر فقد برز الشيخ عبد اللطيف الفاهوم الأزهري قاضي طبرية والشيخ عبد السلام الطبري الأزهري مفتي طبرية.

ومن مشاهير طبرية الشيخ سعيد الطبري وصدقي الطبري ونايف الطبري والشيخ محمد حسن جورية وكذلك عبد القادر خرطبيل (أبو شيبان) وهو من أغنى سكان طبرية في ذلك الوقت.

ومن أشهر أعلام طبرية سليمان بن أحمد الطبراني، أبو القاسم (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ، ٨٧٣ ـ ٩٧١م). والطبراني نسبة إلى مدينة طبرية حيث يقال أنه ولد بها. ويقال أنه ولد بعكا. وعلى كل فقد كان أبوه مقيماً بطبرية من قبل، وكان رجلاً من أهل الحديث والتصوف.

طلب سليمان العلم بإشراف أبيه في وقت مبكر، وكان له من العمر إذ ذاك ثلاث عشرة سنة. واصطحبه أبوه إلى القدس فكانت هذه الزيارة فاتحة رحلة علمية واسعة امتدت زهاء ثلاثين سنة لتحصيل أكبر قدر ممكن من الأحاديث النبوية ومصنفاتها سماعاً من الشيخ أو قراءة عليهم.

وكان أن امتدت رحلته في أرجاء فلسطين أربع سنوات(٢٧٤ ـ ٢٧٧هـ/ ٨٨٧ ـ ٨٩٠م) زار خلالها حواضر العلم في بلده، فسمع الحديث في طبرية، وبيت المقدس، والرملة وعكا، وقيسارية وأرسوف، ويافا، وعسقلان، وغزة. كما دخل قرى سجلين، وعجس، وحندرة من نواحي عسقلان، ورمادة الرملة، للغرض نفسه.

ثم رحل في سنتي ٢٧٨ و٢٧٩ هـ/ ٨٩١ و٨٩٢م في سائر بلاد الشام فزار ثلاثاً وثلاثين مدينة وقرية في الداخل والساحل ومنطقة الثغور في الشمال.

ثم كان بمصر سنة ٢٨٠هـ /٨٩٣م ودخل دمياط والجيزة وقلزم (القريبة من مدينة السويس حالياً).

ورحل إلى الحجاز واليمن فزار مكة والمدينة سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م، ثم صنعاء سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م. ويبدو أنه قفل راجعاً من اليمن إلى مصر ثانية سنة ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م.

ثم ارتحل إلى العراق فمكث في بغداد سنتي ٣٨٧ و٢٨٨هـ/ ٩٠٠م، وزار الأهواز التي كانت من أكثر المراكز الثقافية تألقاً في العالم الإسلامي.

ثم واصل الرحلة إلى المشرق فنزل أصبهان سنة ٢٩٠ه / ٩٠٢م ولكنه ما لبث أن خرج منها ليعود اليها ثانية في سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م عازماً على الاستقرار فيها وقضاء بقية حياته ينشر الحديث النبوي ويرحل إليه طلاب العلم من الأقطار. ولا ريب في أن اختياره هذه المدينة مجالاً لنشاطه العلمي الكبير إنما عبر عن وحدة الفكر والثقافة في اقطار العالم الإسلامي يومئذ. فقد كانت أصبهان آنذاك مركز نشاط حضاري كبير هيأه لها الأمن الذي كانت تنعم به، على حين كانت حواضر الحجاز والعراق والشام مسرحاً لاضطراب عنيف بسبب غارات القرامطة بين حين وآخر. وقد نالت طبرية نصيبها من الكوارث حين اجتاحها القرامطة سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م، فنهبوها وفتكوا بأهلها.

توفي أبو القاسم الطبراني عن عمر بلغ مئة عام وعشرة أشهر، ودفن إلى جانب قبر الصحابي حمه الدوسي بباب مدينة أصبهان.

تميز الطبراني بظاهرة قيمة هي اتساع فترة نشاطه العلمي التي بلغت تسعين عاماً قضى ثلاثين منها في الرحلة والطلب، وبقي بعد ذلك محدثاً ستين سنة. وترتب على ذلك كثرة مشيخته واتساع روايته وضخامة إنتاجه.

لقد ادرك برحلته الواسعة مشيخة عظيمة، وبلغ في سمعة الرواية وضخامة الإنتاج، وكان عدد مصنفاته زهاء تسعين كتاباً ما بين سفر كبير في عدة مجلدات وجزء صغير من بضع ورقات. ثم أنه روى القراءات عن علي بن عبد العزيز البغوي، كما روى عدداً من الكتب في الحديث من تصنيف غيره، يضاف إلى ذلك عمله الدائب في مجال الحديث.

ومن الطريف أن اهتم بنو المقدسي - أسرة من فلسطين استوطنت دمشق منذ القرن السادس الهجري وأنجبت عدداً من المحدثين البارزين - اهتم هؤلاء وعدة من المحدثين الشاميين بحديث الطبراني فارتحل عدد منهم خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري إلى أصبهان فاستجازوا من بقايا المشيخة لهم ولأقاربهم، وجلبوه معهم إلى الشام، ورووه، ونشروه.

لكن المؤسف أن القسم الأكبر من مصنفاته أصبح الآن مفقوداً. ويبدو أن بعضها قد فقد منذ زمن بعيد. كما أن الباقي من تراثه ما زال معظمه مخطوطاً لم ينشر على الناس، وحتى المطبوع من كتبه لم يستوف شروط النشر العلمي.

ولا ريب في أن أجل أعمال الطبراني هو المعاجم الثلاثة. وقد اشتهر بها فلا يكاد يذكر اسمه إلا مقروناً بها. وقد كانت فيما يظهر حصيلة علمه وخاتمة إنتاجه في الوقت نفسه.

انتخب أبو بكر أحمد بن موسى بن مردوية (ت ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م) من حديث شيخه الطبراني عدة أجزاء وصلت بعض منها برواية أبي نعيم الأصبهاني عن الطبراني. ورتب علي بن بلبان الفارسي المصري (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م) المعجم الكبير للطبراني ترتيباً جديداً على أبواب الفقه، وكتابه مفقود. وانتقى شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) مختارات من المعاجم الثلاثة بقي بعض منها.

ثم قام علي بن أبي بكر الهيثمي المصري (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م) بالعناية بمعاجم الطبراني فجرد زوائد المعجم الكبير على الكتب الستة ورتبها على أبواب الفقه في كتاب سماه: «البدر المنير في زوائد المعجم الكبير» في ثلاثة مجلدات، وهو مفقود. ثم قام بالعمل نفسه في المعجمين: الأوسط والصغير في كتاب سماه: «مجمع البحرين في زوائد المعجمين». وهو كتاب نفيس منه قطعة في المكتبة الظاهرية بدمشق ونسخة كاملة في مكتبة الحرم المكي. ثم جمع زوائد المعاجم الثلاثة إلى زوائد مسانيد أحمد وأبي يعلي الموصلي وأبي بكر البراز في كتاب واحد محذوف الأسانيد مع الكلام عليها بالصحة والحسن والضعف، وسماه: «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» وقد طبع في بيروت سنة ١٩٦٧ طبعة حديثة متقنة.

ان معظم الباقي من كتب الطبراني، توزعت مخطوطاته مكتبات القسطنطينية والمكتبة الظاهرية بدمشق، وذلك مما آل اليها من وقف بني المقدسي المذكورين آنفاً. وشيء يسير تناثر في مكتبات برلين، ولندن، وباريس، والرباط، وسوهاج، وحيدر آباد. وقد قام معهد المخطوطات العربية في القاهرة بتصوير قسم كبير منها.

الفصل الثالث

بحيرة طبرية

الموقع والاسم :

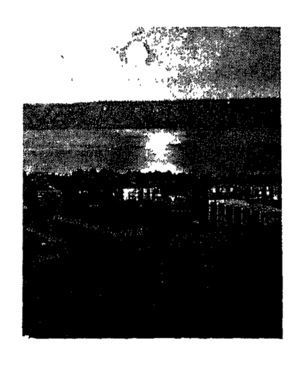
بحيرة طبرية جزء من مجرى نهر الأردن ، وقد سميت بهذا الاسم بعد بناء مدينة طبرية على ساحلها الغربي ، وكانت تسمية المدينة نسبة الى اسم الامبراطور الروماني طيباريوس كما ذكرنا سابقاً . يطلق على البحيرة اسم بحر الجليل أحياناً لوقوعها في الطرف الشرقي لأقليم الجليل . وكانت تسمى قديماً بأسماء متنوعة ، مثل بحر كيناريت (Lake Kinneret) نسبة الى مدينة كيناريت التي كانت على ساحلها في الزمن القديم ، وبحيرة جنيساريت (Lake of Gennesareth) ، لقربها من اقليم جنسيار (Gennosar) المشهور بالحدائق الملكية المحيطة بقصر الحاكم الروماني هيرود على البحيرة وسميت في زمن «بلايني» باسم بحيرة ترشيحة نسبة إلى المدينة التي كانت في الطرف الجنوبي للبحيرة .

نشأة البحيرة :

ترتبط نشأة البحيرة بنشأة بحيرات وادي الأردن في عصر البلايستوسين الأسفل . وقد اتصلت مجموعة بحيرات وادي الأردن خلال العصر المطير فيما عرف بالبحيرة الأردنية القديمة ، التي امتدت من بحيرة طبرية الحالية شمالاً إلى مسافة ٣٠ كم جنوب البحر الميت الحالي . ومساحة هذه البحيرة التي عرفت أيضاً باسم بحيرة اللسان نسبة إلى رسوباتها المعروفة ، قدرت بنحو ٣,١٠٠كم^2 . وفي عصر البلايستوسين الأعلى بدأت هذه البحيرة تنكمش بفعل التبخر وانخفاض التربة

بعـد أن سادت ظروف الجفـاف، وأخـذت تفقد خلال جفافها ٤,٠٣٠ مليون م سنوياً في المتوسط، على أساس أن معدل التبخر السنوي بلغ آنذاك ١٣٠سم.

تعـد بحـيرة طبرية من مخلفات بحيرة اللسان، أحاطت بموضعها المتكون من حوض انهـدامي (انكسـاري)، عتبة بازلتية تألفت من تدفقات المهل البركاني (الـلافـا) المـتراكم في وادي الأردن بين حوضي طبريـة الحـولة. وكانت تحيط بهذا الحـوض حافـة تألفت من رواسب طمييـة لدلتا نهر اليرموك في الجنوب، بالإضافة إلى حافتي الجليل والجولان المطلتين على حوض بحيرة طبرية من الغرب والشرق.



بحرية طبرية كما ترى من الجولان

وكـان هذا المـوضـع الحـوضي عامـلاً هامـاً في الاحتفاظ ببعض مياه بحيرة اللســان، إلى جانب صلاحـه لتجمـع الميـاه المنحدرة إليه. من جهة أخرى، فإن وجـود صدع (انكسـار) مختف ممتـد في قاع بحـيرة طبرية بموازاة شاطئها الغربي، عرض قاع البحيرة للهبوط حتى أصبح منخفضاً حوضياً تتجمع فيه المياه.

والعتبـة البـازلتية المذكورة هي خط تقسيم مياه بين بحيرتي طبرية والحولة. أي أن حوض طبريـة كان مستقـلاً عن حوض الحـولـة. ومن المعتقـد أيضاً أن نهر اليرموك القديم كان يصب في حوض طبرية، فإن دلتاه كونت سهلاً مرتفعاً جنوب

بحـيرة طبر يـة، ينحـدر من الشـرق إلى الغرب انحداراً تدريجياً. وعندما تعرض حوض بحـيرة طبر يـة للهبوط، بفعل الحركات التكتونية على جانب خط الصدع (الانكسار) الموازي لشاطىء البحيرة الغربية، اضطر الرافد الشمالي للبحيرة (وهو ما يعـرف الآن بالمجـرى الأوسـط لنهـر الأردن) أن يجدد شبابه بتعميق مجراه والحفر تراجعيـاً لهبـوط مستوى أساسه، وقد جاهد بصعوبة بالغة لتكوين مجرى خانقي في العتبـة البـازلتيـة، حيث تم اتصـالـه بالرافد الجنوبي لبحيرة الحولة في عملية أسر نهري. وبـذلـك نجحت الحركات التكتونية، وعمليات النحت والتعرية في تمهيد السبيـل أمـام ما يعـرف بنهـر الأردن للوصـول إلى بحـيرة طبر يـة في أواخـر عصر البلايستوسين وأوائل عصر الهولوسين.



ضفة بحيرة طبر ية

وقـد نتـج عن ارتفـاع مستـوى الميـاه وعمـل الأمـواج المستمـر توغـل الميـاه وانـدفـاعهـا عبر الشاطىء الجنوبي الذي امتد جزؤه الغربي في بروز نحو الجنوب بحيث أصبح شكل البحيرة أقرب إلى شكل الكمثرى منه إلى شكل المستطيل. وما زال هذا الشاطىء الجنوبي لبحيرة طبر ية يتقدم نحو الجنوب لأن معظم الحافة السهلية الواقعة جنوب البحيرة، يتكون من إرسابات الطمي ومارن اللسان اللينة التي يمكن نحتها ونقلها بسهولة.

ومـا يدل على تقـدم الشـاطيء الجنـوبي لبحيرة طبرية نحو الجنوب انغمار بعض المنشآت التي بنيت بعيداً عن البحيرة كمخلفات مدينة بيت يراح الكنعانية القـديمـة. ويمكن مشـاهـدة آثـار مباني هذه المدينة الكنعانية وتحصيناتها وقد غمر بعضها بالمياه كذلك أصبحت أشجار الموز، التي زرعت أصلاً بعيداً عن البحيرة، ترتطم بمياه البحيرة، وغمرت مياه البحيرة جذوع بعض أشجار الكينا التي زرعت فيما مضى بعيداً عن الشاطىء الجنوبي.



اشجار النخيل في طبرية

ان معـدل امتـداد الشـاطىء الجنوبي لبحيرة طبرية، بفعل نشاط الأمواج يتراوح من ٣٠ الى ٤٠ سم في السنــة، أي أن طول البحـيرة ازداد بمـرور ثلاثـة أربـاع القـرن حوالي ٢٦,٥م، وبـذا قدّر عمـر البحـيرة بنحـو ٢٠,٠٠٠ سنـة، وافترض ان الخط الأصلي للشاطيء الجنوبي كان يقع إلى الشمال من الخط الحالي بنحو ٢ كم.

المظهر الجغرافي للبحيرة:

البحـيرة ذات شكـل بيضي غير منتظم، يشبـه القيثـار أو الكمثرى، تبلغ مسـاحتهـا ١٦٥كم٢، وأكـبر طول لها ٢٣ كم، وأعظم عرض لها ١٤ كم. يتدرج

انخفاض مستوى سطح مياهها من ٢٠٩ إلى ٢١٤ دون مستوى سطح البحر الأبيض المتوسط، وذلك حسب الفصول وكميات الأمطار السنوية. وتقع أعمق أجزاء البحيرة على مستوى ٢٥٤م دون مستوى البحر، وذلك بالقرب من وسط البحيرة وفي الجزء الشمالي الشرقي منها.

تسود ظروف مناخ السهوب في منطقة بحيرة طبرية، ويتأثر المناخ بالعامل الطبوغرافي، وبعامل القرب من تأثير البحر المتوسط، إذ لا تزيد المسافة في خط مستقيم بينها عن ٥٠كم. ودرجات الحرارة مرتفعة خلال معظم أيام السنة نظراً لانخفاض المنطقة عن سطح البحر، ووصول الأنسمة البحرية إليها خالية من الرطوبة الملطفة، ودفيئة نسبياً، بسبب نزولها من الحافات الجبلية الغربية لوادي الأردن في حالة تضاغط واندفاع. ويبلغ معدل درجة الحرارة في آب ٣١° م وفي كانون الثاني ١٤° م، لذلك تنجح زراعة المحاصيل المدارية الحارة كالموز والحمضيات والقطن والذرة والخضر.

والمنطقة مفتوحة نسبياً للرياح الغربية والجنوبية الغربية رغم وقوعها في ظل المطر. وتؤثر بحيرة طبرية نفسها في المنطقة المجاورة لها بدورة نسيم بحيري محلي. وتتعرض لهبات متقطعة من الرياح القوية القادمة أصلاً على شكل نسيم بحري من البحر المتوسط، والهابطة إلى المنطقة من الحافات الجبلية لوادي الأردن، والمتحولة بعد هبوطها إلى رياح دفيئة جافة تتفاوت سرعتها بين ٣٠ و٥٠ كم في الساعة. فآليتها شبيهة بآلية رياح (الفوهن)، على مقياس صغير. وتتخذ شكل الزوبعة الترابية العمودية التي تدور حول نفسها أثناء تقدمها نحو البحيرة سببه اضطراب مياه البحيرة وارتفاع حركة أمواجها، وتتعاقب فترة هبة هذه الرياح فترة سكونها وتدوم بضع دقائق، ويستمر هذا التعاقب حتى المساء، حين يسود الهدوء التام قبيل الساعة الحادية عشرة مساء.

ان عواصف البحيرة معروفة لدى سكان المنطقة منذ زمن قديم. وهي مصدر خطر على قوارب الصيد الصغيرة، لذا فإن الصيادين يتجنبون الصيد في الأجزاء الغربية من البحيرة، حيث تتعرض هذه الاجزاء، لقربها من الزوايا الجبلية، إلى اندفاع الرياح نحوها. ويتجنبون الصيد من بعد الظهر حتى المساء.

وتندفع نحو البحيرة في فصل الشتاء أحياناً رياح قوية مطيرة مسببة ارتفاع

أمـواجهـا. وتـتراوح كميـة المطـر السنـوي على البحـيرة ومنطقتهـا ما بين ٣٥٠ و٥٠٠ملم. ولا يتعـدى مجمـوع الأيـام المطيرة ٥٠ يوماً في السنة. وتسقط الأمطار على شكـل زخـات قويـة خلال فترات قصـيرة في الغـالـب. وتـرفع البحيرة نسبة الرطوبة في هواء المنطقة المحيطة بها، إذ يبلغ المعدل السنوي للرطوبة النسبية نحو ٦٥٪.

ويسـاهـم هطـول الأمطار في تزويد البحيرة بمياه يقدر معدلها السنوي بنحو ٦٥ مليـون م٣، في حين يسـاهـم نهر الأردن بتـزويد البحيرة بمعدل سنوي من الماء يصل إلى ٥٦٠ مليون م٣، وتزودها المجاري المائية الأخرى التي ترفد البحيرة بنحو ١٣٥ م٣، وبـذلـك يبلغ معـدل الواردات السنوية لبحيرة طبرية ٧٦٠ مليون م٣. والمعلوم أن معدل كمية المياه المتبخرة من البحيرة يصل إلى ٢٧٠ مليون م٣ سنوياً. فنتيجـة صافي المـوازنـة المـائية للبحيرة، وجود فائض سنوي يبلغ ٤٩٠ مليون م٣، يخرج من البحيرة عن طريق نهر الأردن.

ومـيـاه البحـيرة ضاربـة إلى الملوحـة، بسبب الأمـلاح الذائبة في نهر الأردن والمجـاري المـائيـة الأخـرى التي تصب فيهـا، وبسبب وجـود بعض الينابيع المائية المالحة في قاعها الغربي. ويساهـم التبخر في تركيز الملوحة في مياه البحيرة، حتى أن نهر الأردن يخرج من البحيرة بمتوسط ملوحة يبلغ (٣٥٠) جزءاً لكل مليون، بعد أن كان متـوسـط ملوحتـة قبل دخوله البحيرة (٢٠) جزءاً لكل مليون. ورغم قيام الصهيونيين بتحويل مياه الينابيع المالحة، التي يقع بعضها خارج البحيرة وبعضها الآخـر داخـلـهـا، في مصـرف يجري إلـى نهر الاردن، ويخـلـص البحيرة من (١٦٠,٠٠٠) طن من الملح كانت تضـاف إلى ميـاههـا، رغم ذلك العمل الضار بمياه نهر الأردن، ظلت مياه بحيرة طبرية تزداد ملوحة، لأن الإسرائيليين يسحبون من البحـيرة إلى السهـل السـاحلي الفلسطيني والنقب كميات كبيرة من المياه تزيد على ٤٠٠ مليون م٣ سنوياً، مما يزيد تركيز الأملاح في مياه البحيرة.

وتتـذبـذب نسبـة الملوحـة هذه حسب فصـول السنـة، وكميـات الأمطـار الهـاطلة، وكميـات الميـاه المسحوبة من البحيرة، ففي فصل الشتاء تنخفض نسبة الملوحـة، في حين ترتفـع في فصـل الصيف، أو في سنـوات الجفـاف فتراوح كمية الكلورين بين ٢٥٠ و٤٠٠ مغ/ل.

تنتشر على الشاطيء الغربي للبحيرة رواسب صغيرة، ويظهر فيه ينبوعان هما: عين زاني وعين عايشة اللذان تجري مياههما عبر الصخور البازلتية المطلة على الشاطيء. وعلى مسافة ٢ كم إلى الجنوب من تل حوم، يكون الساحل الشمالي الغربي خليجاً صغيراً، يعرف باسم خليج الطابغة، حيث أقامت (اسرائيل) منشآت خاصة لسحب المياه من البحيرة إلى مشروع مياه الأردن ـ النقب. ويمتد هذا الخليج مسافة كيلومتر باتجاه الجنوب. وتوجد خمسة ينابيع في موقع خان منية، وهي ذات مياه دفيئة ضاربة إلى الملوحة. وإلى الجنوب من خان منية توجد عين التين في بداية سهل الغوير.



بحيرة طبرية

يمتد سهل الغوير إلى الجنوب من خان منية، وينحصر بين التلال البازلتية المتراجعة غرباً وشاطىء البحيرة شرقاً. وتجري فيه أودية عمود والربضية والحمام التي تروي الأراضي الزراعية في هذا السهل الخصيب الفسيح. وعند موقع مجدالا على شاطىء البحيرة ينتهي سهل الغوير المتسع ليبدأ سهل طبرية الساحلي الضيق بعض الشيء، حيث تتقدم مرتفعات الجليل نحو البحيرة. وتقع مدينة طبرية في منتصف هذا السهل الذي يستمر نحو الجنوب حتى نقطة خروج نهر الأردن من البحيرة. وسهل طبرية خصيب رغم ضيقه، وتخترقه مجموعة أودية صغيرة قصيرة شديدة الانحدار، وتوجد فيه ينابيع متعددة، بعضها بارد، وبعضها معدني حار. ولا يفصل موقع مجدالا بين سهلي الغوير وطبرية فحسب، بل يفصل بين الجزء الشمالي من الشاطىء المتجه شمالاً بشرق، والجزء الجنوبي المتجه جنوباً بشرق.

أما الشاطىء الشرقي للبحيرة فيتألف من سهل ساحلي ضيق محصور بين مرتفعات الجولان والبحيرة. وتخترق هذا السهل مجموعة الأودية القصيرة ذات الانحدار الشديد. ويتسع الجزء الشمالي للبحيرة مكوناً سهل البطيحة الذي يبلغ طوله نحو ٤ كم وعرضه نحو ٣ كم، ويشتمل على تربات شبيهة بتربات سهل الغوير، وهي تربات ثقيلة غنية بالمواد العضوية، اشتقت من الحجر الكلسي والحواري والبازلت. وأهم الأودية التي تنحدر من هضبة الجولان عبر سهل البطيحة، في طريقها إلى البحيرة، واديالدورة ووادي الدالية .أما وادي السمك فإنه ينحدر من الجولان ويصب في الشاطيء الشرقي للبحيرة.

أهمية البحيرة:

تعد بحيرة طبرية مصدراً هاماً بالنسبة إلى فلسطين. فهي خزان طبيعي للمياه المتجمعة في حوض البحيرة، ممتد على مساحة تربو على ١٦٥ كم². والبحيرة مصدر هام للثروة السمكية، وبيئة جاذبة للسياحة الداخلية والخارجية، وحد طبيعي بين سورية وفلسطين. وقد حصلت شركة روتنبرغ الكهربائية في عام ١٩٢٦ على امتياز من سلطة الانتداب البريطاني على فلسطين لاستخدام مياه نهر الاردن وبحيرة طبرية ونهر اليرموك في توليد الكهرباء، فأنشأت محطة كهربائية

على جسر المجامع، واستعملت بحيرة طبرية خزاناً للمياه، وبنت سداً على موقع خروج نهر الأردن من البحيرة لرفع المياه فيها. وسمح لروتنبرغ أيضاً بربط نهر اليرموك بالبحيرة عن طريق قناة تحويلية تمر من مثلث اليرموك.

وفي ربيع عام ١٩٦٤ انتهت (اسرائيل) من تنفيذ مشروع ـ النقب (المشروع المركزي) الذي تضخ المياه بموجبه من بحيرة طبرية في قنوات عبر الجليل والسهل الساحلي، إلى النقب. وبذلك أصبحت بحيرة طبرية منذ ذلك الوقت خزاناً طبيعياً لتجميع المياه وتنظيم رفعها إلى خزان اصطناعي آخر، أقيم خصيصاً لهذا الغرض في منخفض البطوف، حيث تنقل المياه بعدئذ إلى السهل الساحلي والنقب. وتقدر الكمية المائية التي تسحبها (اسرائيل) من البحيرة لري النقب بحوالي ٤٠٠ مليون م٣ سنوياً. وبالإضافة إلى ذلك تزود البحيرة الأراضي الزراعية في منطقة سهل بيسان جنوبي البحيرة بالمياه عن طريق الأنابيب.

وتشتهر البحيرة منذ الأزمنة القديمة بكثرة أسماكها وتنوعها. وقد لاحظ بعض الدارسين أن أنواعاً من الأسماك، تعيش في البحيرة هي الأنواع نفسها التي تعيش في نهر النيل. وكان معظم صيادي الأسماك قبل ١٩٤٨ من السكان العرب، خاصة من سكان مدينة طبرية، لكن الحال تغيرت بعد ذلك وأصبح الصهيونيون يستغلون البحيرة.

الثروة السمكية في طبرية:

تشكل بحيرة طبرية إحدى أهم البيئات المائية الرئيسية للأسماك في فلسطين وتنتمي أسماكها إلى مجموعة أسماك المياه العذبة وهي التي يتأثر وجودها وانتشارها بعوامل كثيرة أهمها نقاء المياه، ونسبة ملوحتها، ونوع الغذاء وكميته، ووجود المخابىء بين الطحالب والأحجار، ودرجات الحرارة القصوى والدنيا للمياه، وكذلك عمق المياه وسرعة جريانها ودرجة تركيز الكربونات الذي يشكل عاملاً مهماً لحياة الأسماك.

وتعتبر بحيرة طبرية أهم مساحة مائية داخلية ذات مياه عذبة غنيّة بالأسماك، مساحتها قرابة ١٦٨,٦ كم٢، وأكبر عمق لها يصل الى ٤٤م، وكتلة مياهها نحو ٤,٢٣٦ مليون م٣. وتتميز مياهها بارتفاع نسبة الكلوريد بالقياس إلى

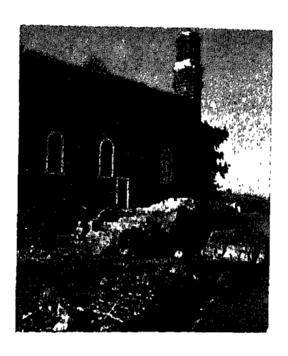
الكـربـونات، كما أن نسبة الصوديوم فيها أعلى من نسبة الكالسيوم. وهذه ميزات طبيعيـة لبحـيرة داخليـة ترتفـع درجات الحرارة في منطقتها فيؤدي ذلك إلى تبخر يرفـع كميـات الأمـلاح المحمـولـة اليهـا من المياه الصابة فيها. وتراوح حرارة مياه بحـيرة طبريـة بين ١٢° و١٥° في الشتـاء، وتبلغ ٣٠° في الصيف. علماً بأن درجـة الحـرارة ١٥° تظـل ثابتـة طوال العـام على عمق ٢٠م فما فوق. وتتغـير نسبـة الأوكسجـين في ميـاه البحيرة فترتفع في فصل الشتاء وتنخفض في فصل الصيف.
وأشهـر أنـواع السمـك الموجودة في بحيرة طبرية منذ العهد الروماني سمك المشط (البلطي) والشبوط والسلور. ويوجد فيها أيضاً البلطي الزيللي الأخضر، والبلطي الجليـلي والـشـبـوط الكـانس والشبـوط اللونجيسبس، والكـركـور الأحمـر والكـابـوتاداماسين، وتيجرس ـ الدجلة، وبلينيوس النهري، وتريستاميلا سكرا، وتريستاميلا سيمونيس.

وكـانت بحـيرة طبريـة مصـدراً هاماً لبيع السمك الطازج في طبرية وصفد والناصرة. ويذكر أحد أبناء المدينة أن هناك أكلة شعبية هي «الكوكلا» وهي عبارة عن سمـك صغـير ربـما سردين يطحن بعـد تقشيره وسحب العظام منه ثم يطهى ويقـدم مع الأرز. أمـا السمـك المملح فكـان يصدر إلى القدس ودمشق في العهد العثماني. وكـانت الحكـومة العثمانية تتقاضى خمس المحصول من أصحابه، ولكن هذه الضـرائب ألغيت عام ١٩٢٠، وأصبـح الصيد مباحاً للجميع شرط الحصول على رخصة للصيد، مما أدى إلى ازدياد عدد الصيادين وارتفاع كمية ما يصطاد من أسـماك إلى ٣٠٠ ـ ٣٥٠ طنـاً في السنـة. لكن الحكومة عادة عام ١٩٣٥ فحددت عدد الأفراد المسموح لهم بالصيد، ثم حددت في عام ١٩٤٠ اتساع عيون الشباك المستعملة في الصيد لمنع انقراض الاسماك في البحيرة..

وكـان جميـع الصيـادين من السكـان العرب الذين بلغ عددهم عام ١٩٤٨ نحـو ٢٠٠ صيـاداً توارثـوا مهنـة الصيد في أسرهم، وكانت نسـاؤ هم يساعدنهم في اصـلاح الشبـاك. وكان اهتمام الصهيونيين بصيد السمك ضعيفاً، لكنه ازداد بعد عام ١٩٤٨، وارتفـع عدد قوارب الصيـد في البحـيرة فارتفعت كميـة السمـك المصطـاد إلى ٩٥٣ طنـاً عام ١٩٥١/ ١٩٥٢. وأهم مراكز الصيد هي الشواطىء الشمالية والشمالية الغربية والشواطىء الشرقية للبحيرة.

الأهمية السياحية للبحيرة:

ولا تقتصر أهمية البحيرة على ثروتها السمكية فحسب، بل تتعداها إلى أهميتها السياحية التي تدر دخلاً على سكان المدينة. وتتوافر المقومات السياحية التي تجعل بحيرة طبرية ومنطقتها المحيطة بها بيئة جاذبة للسياح، بفضل المقومات الجغرافية المتمثلة في مجال البيئة الطبيعية، إذ تحيط بمسطح البحيرة المائي السهول الخضراء والأودية الخانقية والجروف والمنحدرات الجبلية. وتعد مدينة طبرية من المشاتي الجيدة لدفء مناخها الشتوي ولقرب حماماتها منها، لذلك يؤمها آلاف السياح للاستشفاء بمياه ينابيعها المعدنية الحارة. وهناك المقومات التاريخية المتمثلة في المواقع الأثرية والتاريخية حول شواطىء البحيرة، وبخاصة شواطئها الشمالية الغربية، وهناك بعض الأماكن المقدسة والمزارات.



كنيسة القديس بطرس

وتستخدم أراضي أطراف البحيرة للأغراض الزراعية، وتتركز الزراعة في السهول المحيطة مثلما تتركز في قيعان الأودية المنحدرة إليها. وتتناثر الرقاع الزراعية أيضاً على مصاطب المنحدرات الجبلية المطلة على البحيرة، مما يفسح في مجال تنوع الإنتاج الزراعي. وتتفاوت المحاصيل الزراعية ما بين محاصيل بعلية تعتمد

على الأمطار ومحاصيل مروية تعتمد في ريها على المسيلات المائية من الينابيع والأودية .

وتحف بعض القرى والمدن والمستعمرات بشواطىء البحيرة وأهمهامدينة طبرية وقرية سمخ ومستعمرة دجانيا ، ويمارس السكان حرفاً مختلفة كالزراعة وصيد الأسماك والصناعات الخفيفة والتجارة والخدمات وغيرها . وقد هاجر معظم السكان العرب من هذه المنطقة المعمورة نتيجة لاستيلاء (اسرائيل) عليها . أما الجانب الشرقي للبحيرة فأصبح بعد عام ١٩٤٨ منطقة منزوعة السلاح بين سورية و(اسرائيل) ، وهو يضم بعض القرى الزراعية التي هاجر سكانها منها . وترتبط المواقع المعمورة حول البحيرة بشبكة طرق تربطها بالمناطق الفلسطينية الأخرى . وكان يمر بسمخ خط سكة حديد الحجاز، الذي يربط درعا بحيفا عن طريق وادي اليرموك وسهل مرج ابن عامر.

وقد برزت أهمية البحيرة السياسية عندما عيّنت الحدود بين سورية وفلسطين في اتفاقيات الحدود المبرمة عام ١٩٢٢ بين فرنسا وبريطانيا . فقد دخلت بحيرة طبرية داخل الحدود الفلسطينية لإرضاء الصهيونية العالمية التي كانت تمارس ضغطاً كبيراً على كل من فرنسا وبريطانيا أثناء تخطيط الحدود، لحملها على ضم معظم المصادر المائية إلى فلسطين، تمهيداً لسيطرة (اسرائيل) عليها . وعندما صمم جونسون في الخمسينات مشروعه الامريكي لاستثمار مياه نهر الأردن ورافده كان تصميمه مبنياً على أساس أن تكون بحيرة طبرية ، التي وقعت تحت الاحتلال الإسرائيلي بعد عام ١٩٤٨ ، خزاناً طبيعياً للمياه ، تصبح معه الدول العربية المجاورة والمنتفعة من هذا المشروع تحت رحمة (اسرائيل) ، ويكون المشروع تمهيداً للصلح بين العرب و(اسرائيل) .

الفصل الرابع

معركة طبرية والاحتلال الصهيوني

معركة طبرية ١٩٤٨ :

كان أكثر سكان طبرية عام ١٩٤٧ من اليهود. وكان عددهم نحو ٦,٠٠٠ يهودي، بينهم عدد كبير من المحاربين المدربين. أما العرب فقد بلغ عددهم حسب إحصاء عام ١٩٤٥ نحو ٥,٠٠٠ نسمة فقط، ولم يكن بين أيديهم يوم صدور قرار التقسيم شيء من السلاح. ولما نشب القتال بين العرب واليهود راح عرب طبرية يبحثون عن السلاح في كل مكان. وقد أرسلت إليهم اللجنة العسكرية من دمشق ٢٥ بندقية في مطلع كانون الأول ١٩٤٧، ثم اتبعتها في الشهر نفسه بست وثلاثين بندقية أخرى مع قليل من العتاد.

بلغ عدد المقاتلين في الاسبوع الأول من نيسان ١٩٤٨ زهاء ٥٠ عربياً مسلحين بالبنادق العادية وحدها، في مواجهة أعداد كبيرة من المحاربين الصهيونيين من مختلف المنظمات الإرهابية، ثم أخذ عدد المقاتلين العرب يزداد حتى بلغوا مائة مقاتل. وتألفت في العاشر من نيسان لجنة قومية حملت المسؤولية، وقامت بتدبير شؤون الدفاع عن الأحياء العربية. وانتدبت اللجنة كامل الطبري ليكون قائداً للمناضلين. وقد قوى ذلك كله الروح النضالية عند الأهلين، وزادها قوة وصول عدد من المجاهدين من دمشق، يقودهم مناضل من أصل طبراني هو صبحي شاهين، ويحملون معهم بعض الرشاشات الخفيفة، ومدفع هاون واحد، لكن الذخيرة كانت قليلة.

كان القتال قد نشب عنيفاً بين العرب والصهيونيين واستمر من ١١ إلى

١٤/٢٣/١٩٤٨ ثم تهادن الفريقان شهراً. وأخذ الصهيونيون خلال هذه الهدنة يستعدون. وبدأ الموقف يتأزم في الاسبوع الثاني من نيسان، فاستنجدت حامية طبرية العربية بمناضلي الناصرة، فأنجدهم هؤلاء بمجموعة مختارة يقودها محمد العورتاني من ضباط الجيش الأردني، وبمجموعة أخرى يقودها دياب الفاهوم، وتبعتهما قوة ثالثة عدتها ٤٥ مناضلاً بقيادة المناضل أبو الرب، وصلت الى طبرية يوم ١٥ نيسان.

قدر عدد المقاتلين الصهيونيين في طبرية بألف مقاتل من يهود طبرية والمستعمرات المجاورة. وكانوا مسلحين بالأسلحة الآلية الحديثة، ولديهم كميات كبيرة من الذخيرة.

بدأت المناوشات في الأسبوع الثاني من نيسان، وحاول الصهيونيون القيام بهجمات محدودة، صدها المناضلون العرب ببسالة، وأبلوا بلاء حسناً ووقفوا سداً منيعاً في وجه المهاجمين الأعداء، وردوهم على أعقابهم وظلوا يسيطرون على الموقف في الأحياء العربية. «ومن الأبطال المناضلين الذين صدوا الصهيونيين البطل عوض عامر الذي قاوم الصهاينة ثلاثة أيام متتالية مع رفاقه، ويذكر أحد أبناء المدينة أنه شاهد بأم عينه البطل عوض وهو يصد الهجوم عن المدينة».

ثم قام الصهيونيون في ليلة ١٥ ـ ١٦/ ٤/ ١٩٤٨ بهجوم كبير قوامه ٤٠٠ مقاتل، وقد قابلهم ٢٠٠ من المناضلين العرب. واستمر القتال حتى صباح ١٦ نيسان، حين تدخل الإنجليز فمنعوا التجول في المدينة، وأمروا بهدنة مدتها ثلاثة أيام. وطلبوا من رجال الهاغاناة مغادرة مراكزهم القريبة من المواقع العربية، لكن هذا الطلب ألغي بأمر حاكم المنطقة البريطاني ايفانس.

شن الصهيونيون في اليوم الثالث للهدنة، وقبل أن تنقضي، هجوماً مركزاً على الأحياء العربية، جندوا له قوات كبيرة جيدة التسليح. وقد اشتد القتال، إلى أن تغلب الصهيونيون على العرب المدافعين، واحتلوا فندق كروسمان الكبير المعروف، ومعظم البنايات الضخمة، ومنها بناية بنك باركليس، وسيطروا على جزء كبير من الأحياء العربية، وقتلوا عدداً من العرب. لكن مقاومة المناضلين العرب لم تتوقف، على الرغم من نقص الذخيرة وتفوق العدو الكاسح عليهم عدداً وعدة. واستؤنف القتال صباح التاسع عشر من نيسان، ولم يدم طويلاً حتى

تمكن الصهيونيون من دخول الحي العربي والاستيلاء عليه.

وقد دب الذعر في قلوب أبناء المدينة، وكانت قد وصلتهم في العاشر من نيسان أنباء المذبحة التي نفذها الصهيونيون في قرية ناصر الدين، حين أحرقوا منازلها، وقتلوا الكثيرين من رجالها ونسائها وأطفالها. لذلك راح سكان طبرية يرحلون عن المدينة، يدفعهم إلى ذلك العدو الصهيوني، ويسهل لهم الأمر رجال الجيش البريطاني كما جرت العادة، ووفق ما رسم الطرفان من خطة لتهجير العرب وتفريغ المنطقة من سكانها. أما من تبقى من المقاتلين فقد انسحبوا إلى قرى المغار ولوبية وحطين في قضاء طبرية.

الاحتلال والاستيطان الصهيوني في طبرية:

بقي السكان اليهود الذين وفدوا إلى المدينة على علاقة حسنة بسكانها العرب حتى بداية الانتداب البريطاني لفلسطين في عام ١٩٢٠، حين أخذت تحدث بعد ذلك التاريخ صدامات كثيرة بين السكان العرب واليهود في المدينة، وكانت أشدها أحداث ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩م. وبعد إعلان التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ نشبت المعارك بين السكان العرب والمهاجرين الصهيونيين. وانتهت في نيسان ١٩٤٨ باستيلاء الصهيونيين على المدينة بمساعدة القوات البريطانية المرابطة فيها، والتي قامت بإجلاء السكان العرب إلى الكنائس والجوامع في مدينة الناصرة، فاندفع الصهيونيون إلى بيوت العرب ونهبوا ما فيها، وفي ١٩ نيسان من العام نفسه سلّم البريطانيون المدينة إلى الصهيونيين. وكانت طبرية بذلك أول مدينة فلسطينية يسلمها الانكليز للصهيونيين، وقد هدم هؤلاء أحياء طبرية العربية وأقاموا في مسجدها الجنوبي (جامع الجسر) متحفاً محلياً.

وعلى صعيد المستعمرات جددوا ووسعوا مستعمرة كريات شمونة، وأحاطوا المدينة بعدد من المستعمرات، أهمها «كنيرت، ويفنيئل، ورو‌ش بينا، وجسر بنات يعقوب»، واستمرت عملية الاستيطان التي بدأت منذ مطلع هذا القرن.

والجدول التالي (رقم ٤) يلخص عملية التوسع الصهيوني الاستيطاني في

منطقة طبرية ويوضح المدن والقرى الأصلية التي بنيت عليها المستعمرات الصهيونية.

جدول رقم ـ ٤ ـ تسلسل إنشاء المستعمرات الصهيونية في منطقة طبرية

	سنة التأسيس	الاسم العبري للمستوطنة	النوع	اسم الموقع العربي الذي اقيمت عليه المستوطنة
١	١٩٠١	يفنئيل	مستعمرة	كفر ريا
٢	١٩٠٢	ايلينيا	مستعمرة	علانية / خربة الشجرة
٣	١٩٠٢	سجيرا	مستعمرة	الشجرة
٤	١٩٠٢	مناحميا	مستعمرة	عولم
٥	١٩٠٣	بيت جان	مستعمرة	كفر ريا/ الدبورية
٦	١٩٠٨	كنيرت	كيبوتز	على شاطىء البحيرة عند سمخ
٧	١٩٠٨	متصبا	كيبوتز	مصبّه
٨	١٩٠٩	جبعات كنيرت	كيبوتز	سمخ / على شاطىء البحيرة
٩	١٩٠٩	دجانيا	كيبوتز	سمخ / أم اللجون
١٠	١٩٠٩	دجانيا (أ)	كيبوتز	سمخ / أم اللجون
١١	١٩١٠	مجدل	مستعمرة	المجدل
١٢	١٩١٩	كنيرت (توسيع)	كيبوتز	سمخ
١٣	١٩٢٠	دجانيا (ب)	كيبوتز	سمخ
١٤	١٩٢٢	اشدود يعقوب أ	مستعمرة	سمخ
١٥	١٩٢٢	اشدود يعقوب ب	مستعمرة	سمخ
١٦	١٩٢٣	قرنية حطيم	مستعمرة	خربة مدين / قرن حصين
١٧	١٩٢٧	بيت زراع	كيبوتز	العبيدية
١٨	١٩٢٧	مشروع روتنبورغ	مشروع صناعي	ملتقى نهر اليرموك بنهر الأردن
١٩	١٩٣٢	أفيقيم	كيبوتز	العبيدية / بيت زرعه
٢٠	١٩٣٣	اشدود يعقوب	كيبوتز	الدلهيمة
٢١	١٩٣٣	اشدود يعقوب	كيبوتز	الدلهيمة
٢٢	١٩٣٦	مشهار هاشلوشا	كيبوتز	مسحة
٢٣	١٩٣٦	كفار حطيم	مستعمرة	المصبة / حطين

	سنة التأسيس	الاسم العبري للمستوطنة	النوع	اسم الموقع العربي الذي اقيمت عليه المستوطنة
٢٤	١٩٣٧	جنوسار	كيبوتز	خان المنية/ غوير أبو شوشه
٢٥	١٩٣٧	شعار هاجولان	كيبوتز	سمخ
٢٦	١٩٣٧	عين قيب	مستعمرة	النقيب
٢٧	١٩٣٧	مسعدا	كيبوتز	سمخ
٢٨	١٩٣٨	شارونا	مستعمرة	سارونة
٢٩	١٩٣٩	هازورعيم	مستعمرة	كفركما/ شارونة
٣٠	١٩٤١	بوريا	كيبوتز	بوريّة
٣١	١٩٤٤	بيت قشت	كيبوتز	كفركما/ كفركنّا
٣٢	١٩٤٩	بوريا/ توسع	مستعمرة	بورية
٣٣	١٩٤٩	لابي	كيبوتز	لوبية
٣٤	١٩٥٠	تصميخ	سكنية	سمخ

الفصل الخامس

قضاء طبرية

تحديد القضاء:

كان قضاء طبرية في العهد العثماني يعد واحداً من الأقضية الأربعة التي يتألف منها لواء عكا. كان هذا القضاء يضم في عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م ٢٦ قرية من بينها وادي البيرة وسيدنا معاذ وعرب الصبيح والعدسية ويمّا ومسحة وسارونا وشعرة وعطوشة.

وفي عام ١٩١٠ بلغ عدد قرى القضاء ومزارعه ٣٠ وفي أواخر العهد المذكور بلغت ٢٧ وبعض البدو.

وفي أواخر العهد البريطاني كان قضاء طبرية يتألف من مدينة واحدة هي طبرية عاصمة القضاء ومن ٢٦ قرية وبعض القبائل العربية.

يقع قضاء طبرية بين أقضية صفد وعكا والناصرة وبيسان وبين المملكة الاردنية الهاشمية والجمهورية العربية السورية.

وقرى القضاء هي: الدلهيمة، كفركما، كفرسبت، خربة الوعرة السوداء، لوبيا، معذر، المغابر، المنصورة، المجدل، المنارة، ناصر الدين، نمرين، سمخ، عيلبون، نقيب، غور أبو شوشة، حدثا، الحمة، السمكية، السمراء، الشجرة، الطابعة، العبيدية، عولم، ياقوق.

ومن قبائل القضاء البدوية:

١ - التلاوية: كان عددهم في عام ١٩٢٢م (٣٢٢) نفراً، وارتفع العدد إلى ٦٢٣ نسمة في عام ١٩٣١ لهم ١٨٨ بيتاً.

٢ ـ السدود: كانوا يقيمون في الغرب من مستعمرة «مناحيا» في جوار خربتي الدير والمويلح. كان عددهم في عام١٩٢٢م (٤٦) شخصاً.
٣ ـ سرجونة: كانوا يقيمون في أراضي المنارة. نسبوا إلى الخربة المجاورة.
٤ ـ المدارج: كان عددهم عام ١٩٣١م (٥٤) نسمة ولهم ١١ بيتاً ومعنى المدارج الكثير الأدراج للأشياء.
٥ ـ المشارقة: كانوا مستقرين في أراضي كفر سبت.
٦ ـ الخرانبة: تمتد منازلهم إلى جهات «فرّاضية» من أعمال صفد بلغ عددهم في عام ١٩٢٢م (١٤٤) نسمة وفي عام ١٩٣١ ارتفع العدد إلى ١٦٧ لهم ٣٤ بيتاً.
٧ ـ الكديش: استقروا بين «بورية» وبحيرة طبرية، والكديش الفرس غير الأصيل.

سكان القضاء(*):

تطور سكان القضاء على النحو التالي:

١ ـ قدر عددهم في عام ١٩٠٤م (٨١٩٦) نسمة يوزعون كما يلي:

	ذكور	إناث	المجموع
العرب	٣٠٢٥	٣٣١٤	٦٣٣٩
اليهود	٧٢٤	١١٣٣	١٨٥٧
المجموع	٣٧٤٩	٤٤٤٧	٨١٩٦

* المصدر: الدباغ نقلاً عن كتاب ولاية بيروت / القسم الجنوبي لعام ١٣٢٢هـ.

٢ - وفي عام ١٩٠٨ ارتفع عدد السكان إلى ١٠٦٩٣ موزعين كما يلي :

العرب	٦٧٠٩
اليهود	٣٩٨٤
المجموع	١٠٦٩٣

٣ - وفي أواخر العهد العثماني بلغ عدد سكان القضاء ١٤١٩٠ نسمة موزعين كما يلي :

العرب	٩٩٨٠ بينهم (٥٦٣ من البدو)
اليهود	٤٢١٠
المجموع	١٤١٩٠

٤ - وفي العهد البريطاني سنة ١٩٢٢ بلغ عدد سكان القضاء ٢٠٧٢١ نسمة يقسمون كما يلي :

العرب	١٤٤٨٢
اليهود	٦٢٣٩
المجموع	٢٠٧٢١

٥ ـ وفي عام ١٩٣١ ارتفع السكان الى ٢٦٩٧٥ نسمة كما يلي:

	ذكور	اناث	المجموع
العرب	٨٨١٥	٩٣٧٥	١٩١٩٠
اليهود	٣٩٢١	٣٨٦٤	٧٧٨٥
المجموع	١٢٧٣٦	١٣٢٣٩	٢٦٩٧٥

وللجميع ٦٠٩٣ بيتاً.

٦ ـ وفي ١/٤/١٩٤٥ كان في القضاء ٣٩٢٠٠ نسمة ينقسمون إلى مايلي:

العرب	٢٦١٠٠
اليهود	١٣١٠٠ (أي بنسبة ٢٢,٤٪ من مجموع السكان)
المجموع	٣٩٢٠٠

وها هي القرى الخمس الأولى بعدد سكانها في قضاء طبرية حسب إحصاءات ١/٤/١٩٤٥.

١ ـ	سمخ	وبها	٣٣٣٠ عربياً
٢ ـ	لوبيا	وبها	٢٣٥٠ عربياً
٣ ـ	المغار والمنصورة	وبها	٢١٤٠ عربياً
٤ ـ	خربة الوعرة السوداء	وبها	١٨٧٠ عربياً
٥ ـ	غور أبو شوشة	وبها	١٢٤٠ عربياً

وها هي القرى الخمسة الأقل سكاناً في القضاء حسب إحصاءات ١٩٤٥/٤/١.

١ ـ ناصر الدين ويها ٩٠
٢ ـ ياقوق ويها ٢١٠
٣ ـ السمرا ويها ٢٩٠
٤ ـ الحمة ويها ٢٩٠
٥ ـ نمرين ويها ٣٢٠

والجدول التالي (رقم ٥) يبين عدد سكان إقليم طبرية بكامله ونسبة العرب إلى اليهود:

جدول رقم ـ ٥ ـ سكان إقليم طبرية (بالألف)

السنة	مجمـوع السكان		اليهود		العرب	
	العدد	النسبة المئوية من مجموع السكان	العدد	النسبة المئوية من مجموع السكان	العدد	النسبة المئوية من مجموع السكان
١٩٤٨	١٩,٥	٢,٣	١٤,٤	٢,١	٥,١	٣,٣
١٩٦١	٤٣,٣	٢	٣٥,٤	١,٨	٧,٩	٣,٢
١٩٧٢	٤٩,٦	١,٦	٣٨,٤	١,٤	١١,٢	٢,٤
١٩٨٢	٦٣,٦	١,٦	٤٨,١	١,٤	١٥,٥	٢,٢

وتنـامت كثـافـة أولئك السكان بالنسبة لمجموع أراضي الإقليم بازدياد بناء المستوطنات الصهيونية، والجدول رقم (٦) يوضح نمو الكثافة:

جدول رقم ـ ٦ ـ كثافة سكان اقليم طبرية

السنة	الكثافة (لكل ١ كم²)
١٩٤٨	٣٨,٢
١٩٦١	٨٣,١
١٩٧٢	٩٥,٢
١٩٨٢	١٢٢

وفي عام ١٩٨٢ توزع السكان على تسعة وأربعين تجمعاً كبيراً وهاماً مختلفاً ما بين قرية وخربة ومستعمرة أو تجمع صناعي، ومن الملاحظ أن السكان اليهود وحدهم يتوزعون على خمسة وأربعين تجمعاً من تلك التجمعات وكلها مستعمرات أنشئت قبيل وبعد قيام الكيان الصهيوني، بينما يتبقى العرب في التجمعات الأربعة الأخيرة وهي أماكن التواجد الكبيرة لهم عدا التجمعات الصغيرة.

ويأخذ الهرم السكاني لهؤلاء السكان الشكل التقليدي لأي مجتمع ناشيء ونام، فنلحظ القاعدة الهرمية الواسعة ثم التقلص تدريجياً مع ارتفاع الأعمار، والجدول رقم (٧) يبين توزع السكان من إقليم طبرية حسب العمر.

جدول رقم ـ ٧ ـ التوزيع العمري لسكان إقليم طبرية سنة ١٩٨١

الفئة	السكان
٠ ـ ١٤	٢٤٠٠٠
١٥ ـ ١٩	٦١٠٠
٢٠ ـ ٢٤	٥٥٠٠
٢٥ ـ ٢٩	٥٢٠٠
٣٠ ـ ٤٤	١٠٠٠٠
٤٥ ـ ٦٤	٧٨٠٠
٦٥ +	٣٧٠٠
المجموع	٦٢٢٠٠

المواليد والوفيات والهجرة :

والجداول التالية تلقي الضوء على معدلات العناصر السكانية المذكورة.

جدول رقم ـ ٨ ـ معدلات المواليد والوفيات ووفيات الرضع سنة ١٩٨٢

	اليهود	العرب	المجموع العام
المواليد (بالالف)	٢٥	٣٧,١	٢٧,٩

جدول رقم ـ ٨ ـ معدلات المواليد والوفيات ووفيات الرضع سنة ١٩٨٢

	اليهود	العرب	المجموع العام
المواليد (بالالف)	٢٥	٣٧,١	٢٧,٩
الوفيات (بالالف)	٥,٢	٣,٤	٤,٨
الوفيات الرضع(بالالف)	٨,٩	١١,٠	٩,٦

جدول رقم ـ ٩ ـ المهاجرون إلى إقليم طبرية سنة ١٩٨٢

	المتوقع	الوافدون	المجموع
النسبة المئوية من مجموع المهاجرين في البلد	٠,٨	٣,٠	١,٧
العدد	٦٠	١٦٨	٢٢٨

والجدول الأخير رقم ١٠يوضح بعض معدلات الزواج والطلاق عند العرب وعند اليهود في إقليم طبرية وذلك سنة ١٩٨٢ .

جدول ـ ١٠ ـ حالات الزواج والطلاق سنة ١٩٨٢

	اليهود	العرب	المجموع
عدد حالات الزواج	٣٩٣	١١٤	٥٠٧
عدد حالات الطلاق	٤١	٦	٤٧

المدارس في قضاء طبرية :

ذكر الكتاب السنوي لـ «نظارة المعارف العمومية العثمانية» لعام ١٩٠٢ ص ٤٤٣ أن عدد القرى التي فيها مدارس بلغت في العام المذكور خمس وهي لوبيا وحين وكفر كما وحدثا ومعذر.

وفي كتاب «ولاية بيروت ـ القسم الجنوبي» ص ٣٦٨ جاء أن عدد القرى التي كان بها مدارس في الحرب العالمية الأولى كانت سبع وهي : سمخ ولوبيا وعولم وغرين وكفركما والعبيدية وحطين.

وفي عام ١٩٣٠/ ١٩٣١ المدرسي كان في قرى القضاء ست مدارس للبنين واحدة في كل من كفركما ولوبيا والمغار وسمخ والشجرة والعبيدية.

وفي عام ١٩٣٧/ ١٩٣٨ المدرسي بلغ عدد مدارس البنين سبع حيث أنشئت واحدة في حطين ومدرسة واحدة للبنات في سمخ، وبقي هذا العدد كما هو في عام ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ وكانت مدرستا المغار وسمخ ابتدائيتين كاملتين، كل منها يضم سبعة صفوف.

أراضي وتضاريس طبرية :

تنقسم أراضي قضاء طبرية إلى قسمين : الأراضي الواطئة وهي التي تقع تحت سطح البحر ـ بما فيها نهر الأردن وبحيرة طبرية ـ والأراضي المرتفعة، وهي قسم من جبال الجليل الأدنى.

ومياه الأمطار المتساقطة على القضاء تنتهي إما في نهر الأردن أو في بحيرة

طبرية وجميعها وديان شتوية.

أولاً: الأراضي المنخفضة:

تعتبر بحيرة طبرية أول منطقة منخفضة تتسم بالانخفاض الواضح عن سطح البحر وقد سبق التحدث عنها بتوسع. يضاف إلى منطقة البحيرة والوديان التالية وهي أهم الوديان الشتوية التي تنتهي في البحيرة - من الشمال إلى الجنوب:

١ - وادي المسلّخة (وادي العشه):

تبدأ مياهه في الشمال من قرية «زحلق» وتنتهي في البحيرة عند «خربة العشر». واستقرت في أطراف الوادي «عرب الشمالنة» ويعدون إدارياً من عرب قضاء صفد.

٢ - وادي عبدان:

تبدأ مياهه بالانحدار نحو البحيرة، على بعد كيلومترين للشمال من قرية «جب يوسف» من أعمال صفد، وتنتهي في البحيرة عند موقع «الشيخ عبد الله» في ظاهر «تل حوم» الشمالي الشرقي، وتقيم على جوانبه «عرب السمكية».

والأودية الآتية تمر بـ«سهل الغوير» و«غور أبو شوشة».

٣ - وادي الجاموسة:

واد صغير ينتهي في ظاهر «الطابغة» الشمالي، يقيم في شماله «عرب السياد» وفي أواسطه «عرب القديرية».

٤ - وادي العمود:

إن الأمطار المتساقطة على أطراف قرى عين الزيتون وقديثا وطيطبا وميرون تلتقي مع بعضها في الغرب من صفد وتعرف على التوالي باسم «وادي الطواحين» و«وادي الليمون» و«وادي عكبره». وأخيراً تحمل اسم «وادي العمود» الذي يصب في البحيرة في الجنوب من «تل الهنود» على بعد ٨كم للشمال من بلدة طبرية والوادي المذكور هو الحد الفاصل بين جبال الجليل الأعلى والجليل الأدنى.

٥ - وادى الربضية:

ويعرف أيضاً باسم «وادي التفاح» و«وادي السلامة». يحمل مياه الأمطار الهابطة من «المغار» وجوارها، وينتهي في بحيرة طبرية على انخفاض ٢٠٣ أمتار

عن سطح البحر، على بعد كيلومترين للشمال من قرية المجدل. وتقع «عين المدوره» بجانب هذا الوادي عند مصبه.

دعي هذا الوادي باسمه نسبة إلى «خربة الربضية» التي يمر فيها والواقعة في الجنوب من قرية «ياقون». تحتوي الخربة على «معاصر منقورة في الصخر، صهاريج، مدافن، حجارة مبان متساقطة».

٦ - وادي الحمام:

دعي بذلك لاشتهاره بكثرة حمامه ويمامه في العصور القديمة. يحمل المياه المنحدرة من «خربة السعير» الواقعة في الجنوب الشرقي من قرية «عيلبون» وينتهي في بحيرة طبرية في ظاهر قرية المجدل الشمالي على مسافة نحو ٦ كم من مدينة طبرية.

ويمر الوادي المذكور من «خربة وادي الحمام» - بين قريتي المجدل وخربة الوعرة السوداء - التي تحتوي على «اساسات، وبقايا بناء فيه أعمدة وحجارة منحوتة، قطع معمارية».

ويضاف إلى الأراضي المنخفضة في القضاء أيضاً جزء من نهر الأردن الواقع فيه، وكذلك نهر اليرموك.

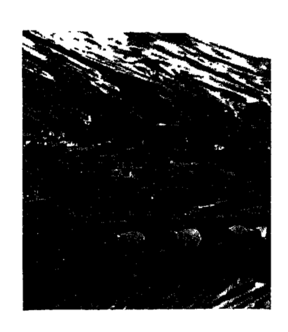
نهر الأردن:

عندما يدخل هذا النهر بحيرة طبرية يكون عرضه ١٨ متراً، ويعرف عند مخرجه باسم «باب التم: الفم» ويكون عرضه ٦٥ قدماً، وترى هناك أربعة أقواس وهي أركان جسر مهدم يعرف موقعها باسم «أم القناطر» والأرجح أنها بقايا «جسر صنبره» القديم.

وقبل دخول الأردن أراضي غور بيسان يلتقي مع روافده اليرموك عند مستعمرة نهرايم، وهي محطة هيدروكهربائية ضخمة تقع في شمال جسر المجامع.

وينتهي في الأردن، في قضاء طبرية، «وادي الفجاس» الذي تنحدر مياهه بالقرب من «قرون حطين» و«كفر سبت». وبعد التقائها في الشرق من «خربة دامية» تستمر المياه في اتجاه الجنوب الشرقي، ويعرف السهل أو الغور الذي يمر منه هذا الوادي باسم «أرض الحماء» لشدة حرارتها. وبعد أن يمر بالقرب من مستعمرة

«ينبيئيل» ينتهي في الأردن في الجنوب من بحيرة طبرية بين «العبيدية» و«بيتاني» ويدعوا الإسرائيليون هذا الوادي اليوم باسم «وادي ينبئيل» نسبة إلى قلعتهم المذكورة.



وادي الأردن الى جانب طبرية

نهر اليرموك:

يؤلف الحد الفاصل بين قضاء طبرية وبين محافظة إربد ـ من الحمة إلى التقائه بنهر الأردن بطول قدره ١٧ كم.

ومن المواقع التي تقع على نهر اليرموك أو بجواره ـ من الشرق إلى الغرب: جسر أم البطة، الحمة، طاحونة الجعات، الحمامات الساخنة، مخاضة زور كنعان، جسر البانة، جسر الحاوي، خربة الدوير، أبو كبير، أبو النمل، العدسية، مخاضة زور المطامير، الدلهمية، الباقورة.

ومن القلاع التي أقامها الكيان الصهيوني في جوار اليرموك: شعارها جولان، ومسعدة، وأشدوت يعقوب، ونهرايم.

منطقة المرتفعات:

أما منطقة المرتفعات فهي التي تلي منطقة الغور، ويعتبر «جبل حذور» الواقع في الجهة الشمالية من قرية المغار أعلى قمة في جبال الجليل الأدنى في قضاء طبرية. يرتفع ٩٥٠ متراً ويدعوه الاسرائيلون باسم «جبل هازون» وفي الشمال منه تقع «خربة حذور» التي نسب إليها.

ومن مرتفعات القضاء المرتفعة «قرون حطين» التي تعلو ٣٢٦ متراً عن سطح البحر وتقع في ظاهر قرية حطين الجنوبي على مسيرة نحو ٨ كم للغرب من مدينة طبرية.

ومن قرى القضاء المرتفعة المغار ٣٠٠ م، وكفركما ٢٢٥م، وعليون ٢٠٠م.

مزروعات قضاء طبرية:

في مايلي أهم محصولات القضاء بالطن المتري لأعوام ثلاثة:

اسم المحصول	١٩٣٩	١٩٤٢	١٩٤٤
الحنطة			
القرى العربية	٣٩٦٠	٣٤٨٤	٢٥٤٢
القلاع اليهودية	١٠٥٠	١٦٤٠	١٠٦٧
الشعير			
القرى العربية	١١٣٥	١١٥٩	٨٤٠
القلاع اليهودية	٢٦٨	٨٨٢	١٠٢٥
العدس			
القرى العربية	١١٢	١٢٢	٧٢
القلاع اليهودية	-	١٧	٢٤
الكرسنة			
القرى العربية	٣٧٠	٤٧٣	٢٧٧
القلاع اليهودية	-	-	-

اسم المحصول	١٩٣٩	١٩٤٢	١٩٤٤
الفول			
القرى العربية	١٩٥	١٥٦	٨٠
القلاع اليهودية	١٠	٧٧	٥٤
الحمص			
القرى العربية	٩٦	٤٤	٣٢
القلاع اليهودية	٧	١٨٩	١١٠
الذرة			
القرى العربية	٣٧٤	٥٠٠	٣٥٠
القلاع اليهودية	٧٠	١٥٢	٢٥
السمسم			
القرى العربية	٣٠	٢١	-
القلاع اليهودية	-	-	-
الزيتون			
القرى العربية	١١٧٤	١٤٧٥	٢٣٩٠
القلاع اليهودية	٥٦٢	٢٦٧	٤٥١
البطيخ			
القرى العربية	٤٢٠	١٢٧	١٢٢
القلاع اليهودية	٤٨	١٣	٣١
العنب			
القرى العربية	١٩٦	١٦٩	١٣٢
القلاع اليهودية	٩٦	٤٢٢	٣٠٤
التين			
القرى العربية	٢١٦	١٤٥	١٧٥
القلاع اليهودية	-	-	-

اسم المحصول	١٩٣٩	١٩٤٢	١٩٤٤
اللوز			
القرى العربية	٩	٨	-
القلاع اليهودية	-	--	-
الخضروات			
القرى العربية	٣٧٥٨	١٤٥٦	١٥٦٩
القلاع اليهودية	٣٨٧٩	٣٩٢٣	٣٢١٠
أخرى			
القرى العربية	٩٣	٦٢	٩٧
القلاع اليهودية	١٠٤٦	٢٥٤٣	٢٣١٧

وفي ١ شباط ١٩٣٨ كان في قضاء طبرية ١٤٩٨ دونماً مغروسة بالبرتقال منها ١٣٨٤ لليهود و١١٤ للعرب، كما كان به ٥٤٠ دونماً من الموز منها ٥٠٠ لليهود و٤٠ للعرب.

وفي عام ١٩٤٥ كان عدد الدونمات المغروسة بالأشجار الحمضية في أراضي قضاء طبرية ١٣٤٥ دونماً منها ١٢٤٣ لليهود والباقي للعرب أما عدد الدونمات التي كانت مزروعة بالموز في التاريخ المذكور فقد بلغت ٦٢٢ دونماً منها ٦١٥ لليهود والباقي للعرب.

والجـدول الآتي يعطي مساحة الأشجار المثمرة بالدونمات ، في قضاء طبرية باستثناء الحمضيات وذلك لعام ١٩٤١/ ١٩٤٢

نوع الشجر	عرب	يهود
الزيتون	١٤٣٨٧	٢٠٨١
الكرمة	٧٩٧	٥٠٨
تين	٥٧٠	٥
برقوق	-	٦
تفاح	٥٣	٣٩
كمثرى	-	٨
موز	٦٣	١٦٧٣
لوز	١٠٦	-
مشمش	١٨٤	-

الثروة الحيوانية :

كان في قضاء طبرية الحيوانات الأهلية الأتية حسب تعدادها

	عام ١٩٣٧	عام ١٩٤٣
الخيل	٩١٧ :	٩٤٠
البغال	٣٧١ :	٥٢٥
الحمير	٢٣٥٦ :	٢٧٦٩
الجمال	١٦٤ :	٢١٧
الجاموس	٥ :	٤
غنم ضأن	٧٧٧٨ :	١١٤٠٦
ماعز	٩٨٤٧ :	١١٧٧٢
طيور داجنة	٧٨٩٥٠ :	٥٩٠٧٧

الفصل السادس

معركة حطّين

الظروف التاريخية:

في عام ١١٨٧ م أوقف صلاح الدين الأيوبي معاركه وحروبه مع ملوك وأمراء الطوائف والممالك المتفرقة في ربوع بلاد الشام ومصر بغية توحيدها. كما طهّر بعض حواضرها من بعض الحاميات الإفرنجية التي كانت متوغلة في قلب بعض الأمصار الإسلامية. وإذ دانت له بلاد الشام ومصر وخضعت تحت لوائه فقد عزم على حشد الجيوش لمقارعة جحافل الإفرنج المتمركزين في فلسطين وعلى طول الشريط الممتد شمالاً من إنطاكية وطرابلس ومروراً بطبرية وما جاورها ثم جنوباً حتى الكرك والشوبك جنوبي الأردن. وكانت حطين هي المعركة الفاصلة التي قصمت ظهر الوجود الصليبي في المنطقة والتي وقعت في منطقة سهل حطين في منتصف المسافة تقريباً بين طبرية وصفورية وهي إلى طبرية أقرب. وحتى نصل إلى المعركة بتفصيلاتها المختلفة لابد من إلقاء بعض الأضواء على الظروف السياسية والتاريخية التي مهدت لتلك المعركة.

كان صلاح الدين أثناء حروب توحيد مصر وبلاد الشام قد قبل التوقيع على بعض المعاهدات السلمية مع بعض أمراء الصليبيين لكي يضمنوا لرعاياهم حقوق التنقل والأمان والحصول على الضروريات. ومن تلك المعاهدات واحدة مع الكونت ريموند الثالث صاحب طرابلس الذي قادته خلافاته مع مجلس البارونات وعصيانه لهم وعدم اعترافه بالملك المتوج من قبلهم على مملكة بيت القدس للالتجاء إلى طبرية والتحصن فيها، وطوال خلافاته تلك كان الكونت



في الشمال موقع معركة حطين

ريمـونـد وفيـاً لمعـاهـداته مع صلاح الدين التي سارع إلى طلب عقدها لمدة أربع سنـوات بسبب القحـط الـذي عم منطقته في تلك السنة (١١٨٥م) ولتأمين المؤن والأقوات الخاصة برعيته وتخليصهم من الجوع، ويسجل المؤرخون لصلاح الدين مأثرته في الموافقة على منح الكونت ريمود العهد والأمان في تلك الظروف العصيبة التي كان يمر بها.

من تلك المعـاهـدات أيضـاً هدنة هشة عقدت مع ملك مملكة بيت القدس (غي دي لوزينيان)، وثالثة مع صاحب الكرك والشوبك (البرنس أرناط).

وكانت قلعة الكرك تقع على طريق القوافل التجارية بين دمشق ومصر وكان البرنس أرناط أمير الكرك يستوفي من تلك القوافل جزية كبيرة أيام السلم.

وفي أوائل سنة ١١٨٧ سولت نفس الأمير له مهاجمة إحدى قوافل المسلمين الغنيـة القـادمـة من مصر. ونفذ هجومه فعلاً حيث قتل معظم أفراد القافلة، وأسر من تبقى منهم وسخر منهم ومن دينهم ومن نبيّهم محمد صلى الله عليه وسلم.

وتنـاهى الخـبر إلى مسـامـع صلاح الدين الذي هب لفوره لتجميع جيش ضخم من حواضر المسلمين في مصر والشام وحلب والجزيرة وديار بكر وكل سوريا الشمالية. وخرج من دمشق على رأس جيشه قاصداً الكرك في جنوب بلاد الشام.

وأبقى ولـده الملك الأفضـل نور الـدين علي عنـد رأس الماء قرب دمشق تحسباً لأي طارىء ولمنـاوشـة الصليبيين عند الضرورة . بينما عسكر هو في قصر السلام بالقرب من بصـرى بانتظـار جيش مصـر، ثم سار إلى تل عشـتراه حيث التحقت به باقي الجيـوش الإسـلاميـة من كافـة أنحـاء المملكة ، فكان عدد الفرسان المتجمعين في الجيش اثني عشـر ألفـاً يسـانـدهم ثلاثـة عشـر ألفـاً من المشـاة، وغـيرهـم من الاحتيـاطيـين والمتطـوعـين، الـذين انتشروا مع باقي قطاعات الجيش في السهول والوديان الواقعة بين الكرك والشوبك .

بعـد ذلـك وفي نيسـان ١١٨٧ اجتـاح صلاح الـدين ممتلكات إمارة الكرك والشـوبـك وهـاجمهـا في عملية تأديبية لأميرها بسبب نقضه للعهد الذي بينه وبين صلاح الدين وإغارته على القافلة .

آنذاك تنادي مجلس البارونات في القدس لتوحيد جهود الصليبيين في المنطقة للوقـوف في وجـه صلاح الـدين وللتحضـير لهزيمته والقضاء عليه ، وبذلت جهود كبـيرة لتتم مصـالحة ريموند الثالث صاحب طرابلس مع ملك مملكة بيت المقدس ومـع صاحب إنطـاكيـة أيضـاً، وقـرروا تجميـع كافة الجيوش الصليبية من مختلف المقاطعات في صفورية التي ستكون معقل ذلك الجيش، وتقع قرب الناصرة وسط الجليل في منتصف الطريق بين طبرية والبحر، وذلك لملائمة الموضع للعمليات الدفاعية .

وفي أثنـاء عمليـات الحشد الصليبية تلك ، كان صلاح الدين قد عاد باتجاه الجليـل بعـد مراقبـة ومتـابعـة حثيثة لأخبار معسكر الصليبيين ، ونزل بجيوشه إلى حدود الجليـل بانتظـار تجمـع الصليبيـين لمواجهتهم ولضـربهم الضـربة القاضية ، وكانت جيوشهـم تقدر بأربعة آلاف فارس وخمسة وثلاثين ألف راجل، يضاف إلى أعداد كبيرة من المرتزقة والحجاج والبحارة الأوروبيين المارين إلى القدس بغرض الزيارة .

فتح طبرية ومحاصره قلعتها :

وفي التاسع من تموز ١١٨٧ عمد صلاح الدين إلى عبور نهر الأردن بجيوشه من جهـة جنـوبي بحيرة طبرية متقدماً على طول الساحل ، حتى ضرب حصاراً

خانقـا على مدينـة طبر يـة من كل الجهات، ويصفه المؤرخ أبوشامة قائلاً «كانت جيـوش السلطـان كالبحـر تطـوق بحـيرة طبر يـة، والسهول الواسعة تختفي تحت انتشـار الخيـام». ولم تصمـد المـدينـة أمـام هجوم جيش المسلمين أكثر من ساعة، فاقتحمهـا صلاح الـدين واستـولى عليهـا، ولكن قلعتهـا امتنعت عليـه، وكانت الكـونتيسـة أشيف زوجة ريموند الثالث محاصرة فيها مع حاشيتها والحامية المدافعة عنهـا. وبـالاستيـلاء على طبر يـة سيطـر المسلمـون على البحـيرة وحـالـوا دون الصليبيين والماء.

بقي صلاح الـدين محاصـراً لقلعـة طبر يـة بعد ذلك، قاصداً من محاصرتها إرغـام الصليبيـين على إخـلاء مواقعهم الحصينة في صفورية، لكي يقطع عليهم الطريق ويمنعهم من الاقتراب من الماء المجاور له، يقيناً منه بأنهم سيحتاجون إلى الماء حتماً بسبب شدة الحرارة في ذلك الفصل من السنة.

موقعة حطين:

على إثـر محاصـرة قلعـة طبر ية وفيها الكونتيسة أشيف زوجة ريموند الثالث اجتمـع التحـالف الصليبي بزعامة الملك غي ملك مملكة القدس وريموند الثالث ومجلس البـارونـات، الـذي انتهى قراره إلى ضرورة تسيـير الجيوش الصليبية من صفـوريـة إلى طبر يـة لملاقـاة جيش المسلمـين هنـاك وعدم السماع لمشورة ريموند الثـالث بالبقـاء في صفـورية وسحب جيش المسلمين إليها ليتعرض المسلمون إلى العطش والتعب المتوقـع بدل أن يحلا بالجيش الصليبي. وذلـك القـرار هو الـذي خطط صلاح الدين للحصول عليه، ويذكر المؤخون أن صلاح الدين عندما رأى تحركـات جيش الصليبيـين انشـرح صدره وهتف فرحـاً «الحمـد لله هذا ما كنت أرجوه، لقد أوقعهم الله في أيدينا».

وإنطلق جيش الصليبيـين صبـاح الثـالث من تموز ١١٨٧ وسـار طيلة النهار مسـافـة تقرب من الستة عشر ميلاً في جو خانق شديد الحرارة ضمن مسارب جبلية وعـرة، زاد صعـوبتهـا هجـمات سرايا جيش المسلمين على مقدمة ومؤخرة الجيش أثناء سيره.

وقـد وجـد الجيش نفسـه منهكـاً ومتعبـاً وعطشاً لا سيما بعد نفاد الماء القليل

الـذي حمله . ثم توقف الجيش عنـد جبل حطين المقفر من المياه لقضاء الليل الذي أدركه هناك .

من الـواضـح أن إرادة القتـال عند جيش صلاح الدين كانت على النقيض تماماً منهـا عند جيش الصليبيين ، فقد كانت عظيمة قبيل المعركة لأن ظروف تلك المعـركـة كانت مواتيـة لهم عسـيرة على أعدائهم . فما أن بزغ فجر اليوم الرابع من تموز ١١٨٧ حتى وجد الصليبيون انفسهم محاطين بجحافل الجيش الإسلامي من كل الجهات ، والذي بادر بإشعال النيران في الهشيم المنتشر حول تجمع الصليبيين ، مما زاد في كآبة الجو وضيق الحالة النفسية والجسدية التي عانى منها الجيش المنهك ، يرافق ذلك الجو الحار والعطش الشديد والدخان الخانق . وبعد الاصطدام المباشر بين الجيشـين ونتيجـة للمنـاوشـات الأولية من قبل رماة وفرسان الجيش الإسلامي للجيش الصليبي أثناء سير المعركة ، فقد انفصل سلاح المشاة عن سلاح الفرسان في جانب معسكـر الصليبيـين ، وقـد ساعـد هذا الفصل في مطاردة المشاة والقضاء عليهم بعـد تعـرضهم لضـربـات مباشرة ودون حماية من رماة المسلمين الذين كان لحركة فرسانهم أثر كبير في حسم المعركة لغير صالح الصليبيين .

واشتد الخناق على الصليبيين وتلقوا ضربات قاصمة أدت إلى القضاء على أعداد غفيرة من جندهم وإلى انهيار معنوياتهم وفرار بعض قادتهم المتنافسين ومنهم ريمـونـد الثـالث الذي فرّ باتجاه طرابلس ، وأمير إنطاكية وغيره ، كما وقع في الأسر قسم آخـر من قادتهم على رأسهم ملك مملكـة القـدس (غي دي لوزينيـان) . وقد تواردت روايـات مختلفـة تصف تلك الأعداد الهائلة من القتلى والأسرى فأبو شامة يقول «من كان يرى القتلى يظن أن ليس هناك من أسرى ومن كان يرى الأسرى يظن أن ليس هناك من قتلى» . وفي مثل ذلك يقول العماد الاصفهاني واصفاً بعض حالات الأسر التي رآها بعدما عجز عن حصر عدد القتلى «وأما من أسر فلم تكف أطنـاب الخيم لقيـده وشـده ، ولقـد رأيت في حبـل واحـد وثلاثين أو أربعين فارساً يقودهم فارس ، وفي بقعة واحدة مائة أو مائتين يحميهم حارس» .

وانتهت معـركـة حطـين بانتصار ساحق لصلاح الدين وتحطيم كامل للقولة الضـاربـة الصليبيـة في فلسطـين وبـلاد الشـام ، بحيث تمهدت الطريق تماماً بعد المعـركـة لفتـح بقيـة الحصـون والمعـاقـل الصليبية في فلسطين . ومن طبرية مضى

صلاح الدين ليتسلم عكا بأمان يوم ١٠ تموز ١١٨٧ ثم تابع مسيرته إلى الساحل وفتح مدن نابلس وسبسطية وحيفا وقيسارية وعصفورية والناصرة والفولة وتبنين وصيدا وبيروت التي استولى عليها في ٦ آب ١١٨٧ ثم جبيل والبترون.

ثم التقى جيش صلاح الدين بجيش أخيه الملك العادل القادم من مصر ففتحا معاً عسقلان وما جاورها ثم سار الجيش المظفر باتجاه بيت المقدس حيث تم الفتح الكبير لها في ايلول ١١٨٧ وتحديداً في السابع والعشرين من رجب ٥٨٣هـ ذكرى الإسراء والمعراج.

المراجع

أولاً: العربية:

١ ـ احمد سامح الخالدي، أهل العلم بين مصر وفلسطين، بدون تاريخ نشر، مكتبة جامعة دمشق.

٢ ـ أنيس صايغ، بلدانية فلسطين المحتلة ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧، بيروت ١٩٦٨.

٣ ـ جون بيركهارت، رحلات بيركهارت، الجزء الثاني في سورية الجنوبية (مترجم)، عمان ١٩٦٩.

٤ ـ حسن عبد القادر صالح، «الاساس الجغرافي للنزاع العربي الاسرائيلي حول مياه نهر الاردن»، مجلة كلية الآداب، الجامعة الاردنية، ٣، العدد ١، عمان ١٩٧٢.

٥ ـ خريطة فلسطين، مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ لوحة طبرية ـ فيق.

٦ ـ ر. ي. سميل، الحروب الصليبية، (ترجمة سامي هاشم)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢.

٧ ـ سعيد أحمد برجاوي، الحروب الصليبية في الشرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٨٤.

٨ ـ طلعت السيفي القدسي، مدينة طبرية، عمان، ١٩٥٧، (نقلاً عن مصطفى الدباغ).

٩ ـ عارف العارف، النكبة، بيروت، ١٩٥٦.

١٠ ـ العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح. (د. ت. ن).

١١ ـ فواز طوقان، الاستعمار الصهيوني للأرض الفلسطينية، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

١٢ ـ قسطنطين خمّار، جغرافية فلسطين المصورة، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٦٦.

١٣ ـ محمد سلامة النحال، جغرافية فلسطين: دراسة طبيعية، اقتصادية وسياسية، بيروت ١٩٦٦.
١٤ ـ محمود أحمد ابراهيم، حطين بين أخبار مؤرخيها وشعر معاصريها، دار البشير، عمان، الطبعة الأولى ١٩٨٧.
١٥ ـ مجلة بلسم ـ مجلة جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني، العدد رقم ١٣٢، حزيران ١٩٨٦ (تحقيق عن طبرية).
١٦ ـ مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٦، ق٢، بيروت ١٩٧٤.
١٧ ـ الموسوعة الفلسطينية، المجلد رقم ٣، الطبعة الاولى ١٩٨٤.
١٨ ـ موسى سمحة، مدينة طبرية، الموسوعة الفلسطينية، المجلد رقم ٣، الطبعة الأولى ١٩٨٤.

ثانياً : الأجنبية :

1- Abel, F.M. : La Geographie de la Palestine, Paris, 1933.

2- Ashbel, D: Conditions of the Wind on the Western and Southern Shores of the Sea of Galilee, Met. Mag. 1936.

3- Ben Arieh, Y. The Shift of the Outlet of the Jordan and the Southern Shore of lake Tiberias, Pale. Exp. Quart. 1965.

4- Efraim Orniand Elisha Efrat, Geography of Israel, Jerusalem, 2m edition, 1966.

5- Heller, R.M.: My Month in Palestine, London, 1929.

6- Neuman, J.: On the Water Balance in Lake Tiberias, 1935/ 1936- 1946/ 1947, Isr. Exp. Jour. Vol. 3, 1953.

7- Notestein, F., and Jukratm E.: population Problems of Palestine, The Milbank Memorial Fund, 1945.

8- Robinson, E. and Smith E.: Biblical Researches in Palestine, Vol. 3.

9- Smeth, G. A. The Historical Geography of the Holy land, London, 1966.

10- Statistical Abstract of Israel, No. 34, 1983m Jerusalem.

11- Yehuda, Karmon, Isreal : A Regional Geography, John Wiley Ltd., London, 1971.

صدر عن سلسلة المدن الفلسطينية :

١ ـ يافا
٢ ـ عكا
٣ ـ نابلس
٤ ـ رام الله والبيرة
٥ ـ الرملة
٦ ـ القدس
٧ ـ بيسان
٨ ـ بئر السبع والصحراء الفلسطينية
٩ ـ بيت لحم
١٠ ـ جنين
١١ ـ صفد
١٢ ـ غزة
١٣ ـ اللد
١٤ ـ طولكرم
١٥ ـ الناصرة
١٦ ـ المجدل وعسقلان
١٧ ـ ـ أريحا
١٨ ـ خان يونس
١٩ ـ الخليل
٢٠ ـ طبريا

الكتاب الأخير في هذه السلسلة :

حيفا

حين يكـون الـوطن بعيـداً أو أنت مبعـد عنه ...

وحين تستمر أجيـال الوطن في التوالـد بعيـد عن أرضـــه دون أن تلمس ترابـــهُ أو تشم ثراه المجبـول بـالــدم والمعطر برائحـــة البرتقــال والزيتون ...

وحين يكـون الحنين لفلسطين مـدنــاً وقرىً وبحراً وسهلاً وجبـلاً يتردد صـداه غنـاء وبكاء في كل بيت وصدر فلسطيني ...

وحين يعمد العدو الغاصب ـ وبعـد أن اقتلع الشعب من وطنـه ـ إلى اقتـلاع حجـارة الـوطن وأشجاره ليمحو مـدنـه وقراه وآثـاره بهـدف تغيير معالم الوطن ورسم صورته على هواه ...

وحتى تظـل فلسطين ، تـاريخـاً وتراثــاً وحضـارةً ونضـالاً ، حيـة في عقـل كل فلسطيني وعربي ...

وحتى تظل فلسطين مجسّدة بجبالهـا وسهولهـا ومعـالمهــا في عيـون كل الأجيــال الفلسطينيــة والعربيــة وهي تنــاضــل من أجـل تحريرهــا واستعادتها ... كان علينـا أن نقرّبهـا ، أن نقرّب الوطن البعيد من الأجيـال التي لم يكتب لهـا أن تراه حتى الآن ، فكانت هذه السلسلة من الكتب التي جاءت ثمرة تعاون بنّاء بين المنظمـة العربيـة للتربية والثقافة والعلوم ودائرة الإعلام والثقـافـة بمنظمة التحرير الفلسطينية .

عبد الله الحوراني

الثمن : الأردن ١ دينار ، **الإمارات العربية المتحدة** ١٠ درام ، **المملكة العربية السعودية** ١٠ ريـال ، **قطر** ١٠ ريال ، **الكويت** ١ دينار ، **سورية ولبنان** ٢٥ ل.س ، **والبلدان الأخرى** ٢ دولار .